الحنفاء مسلمون- موحدون - بلا وحي

الكاتب : رمضان عيسى

إن الباحث في تاريخ العرب قبل الإسلام لابد أن يلاحظ معالم فكرية قد تجاهلها الكثير من الكُتاب ، أو لم يعطوها حقها وكشفها بالتحليل العلمي لكيفية مسار الحركة الاجتماعية والمعالم الفكرية المتشعبة التي سبقت الدعوة المحمدية .وهذه المعالم الفكرية قد تجاهلها الباحثين إما عن قصد ، أو عن غير قصد ، وكأن الدعوة المحمدية ظهرت في ظروف اجتماعية واعتقادية وأخلاقية كانت كلها سلبية ومذمومة ، مما جعلهم يوصمونها بالمجتمع " الجاهلي "، أي لم تكن فيه أية معالم ايجابية ، مما يضخم حجم الدعوة المحمدية ويلقي عليها نوعا من القداسة عند إظهارها بأنها تصدت ولوحدها لمعتقدات مجتمع " جاهلي " مفكك ، متصارع وليس فيه أية معالم ايجابية ، وأفكار حنيفية ودعوات للتجديد ، ومحاولات للخروج من المنظومة الفكرية والمعتقدية التي كانت سائدة في مجتمع شبه الجزيرة العربية .

وحينما كانت الكتابات تأتي عن غير قصد في تقييم المنظومة الاعتقادية قبل الدعوة المحمدية ، كانت تقوم بإهمال أو تصغير الى الصفر دور الدعوات الحنيفية المتعددة السابقة التي نادت بالتغيير وتمردت على المعتقدات الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة عند العرب آنذاك .

وقد تجلت هذه الدعوات في الشعر – لما للشعر من أهمية قوية ودعائية – كما تجلت أيضا في السلوك التمردي الرافض لعبادة الأصنام المشخصة ، وكان من أصحابها أن كانوا يدعون الناس جهارا في الأسواق ، داعين للتغيير ، وأن عبادتهم للأصنام هي غبن وجنوح واعوجاج يجب تعديله ، والعودة الى عبادة اله واحد أحد غير مُشخص .

إن تجاهل الحنفاء والتنكر لدورهم في التحضير للدعوة المحمدية من جانب بعض الباحثين ينطلق من التصور الخوارقي ، الإعجازي السحري الذي يخلق شيء من لا شيء، أي يُوجد شيء من العدم . فيظهرون الدعوة المحمدية وكأنها دعوة جديدة ، كل الجِدّة ، والتي جاءت بشكل خارق ، ولم تسبقها أية دعوة مماثلة لتغيير المجتمع المفكك الأوصال ، المتصارع ، المتوحش ، المليء بقطاع الطرق ،الذي تسود فيه العصبية القبلية ، الأسوَد في كل شيء . وهذا يعني إلباس الدعوة المحمدية الجديدة ، ثوب القداسةً ، الشيء الخارق ، المعجزة الفريدة ، الغير مسبوقة والتي تخرج عن أن تكون من تخطيط ، أو إبداع من صنع البشر ، هادف للتغيير . إن هذا تناسي ونكران فاضح مقصود لدور الحنفاء وأفكارهم وأخلاقهم الايجابية الرافضة بشدة لمعتقدات وأخلاقيات مجتمع شبه جزيرة العرب آنذاك .وفي الجانب الآخر فإن إنكار دور الحنفاء يحتم تجاهل الترابط

الشديد الصلة بين الحنفاء والدعوة المحمدية بوصفها دعوة حنيفية – في المبتدأ والخبر - أكثر وضوحا في الدعوة للتوحيد .
من هنا لا يمكن تقييم الدعوة المحمدية بوضعها في مكان منفصل عما سبقتها من دعوات مماثلة من نفس المبتدأ ، أي الدعوة للتوحيد ورفض جعل الأصنام وسطاء بين البشر وبين الإله الأوحد ، ونفس الخبر ، أي الإيمان بطقوس مثل الصلاة والصوم والطواف حول الكعبة وتقديم القرابين ونشر الاعتقاد بحياة أُخروية ، فيها العقاب – النار- للرافض والمتمرد ، والثواب – الجنة – للمطيع .
فالحنفاء كفئة اجتماعية وفكرية لها حضورها في شبه جزيرة العرب قبل ظهور دعوة محمد ، بل وأثناء مراحلها الأولى ، وهذه الحركة الحنيفية الغير منظمة إن دلت على شيء ، فإنما تدل على أن الباحث الدقيق الموضوعي ، والذي يتحلى بالنظرة الشمولية لظروف شبه الجزيرة العربية قبل دعوة محمد الحنيفية ، لا يمكن أن يتجاهل هذه الفئة لما لها من حضور فكري له فروعه وانعكاساته، والتي كان لها أثرٌ كبيرٌ في التهيئة الفكرية والنفسية للدعوة المحمدية بوصفها دعوة حنيفية أكثر شمولية ونضوجا لا يمكن فصلها عما كان يطرحه الحنفاء قبلها .
جذور الحنيفية
الحنيفية هي مجموعة من الأفكار كانت عند مجموعة من عقلاء العرب سمت نفوسهم عن **عبادة الأوثان ولم يجنحوا الى اليهودية أو النصرانية ،وإنما قالوا بوحدانية الله ، ويعرف هؤلاء بالأحناف أو الحنفاء ،أو المتحنفين ، نسبة الى ملة " ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين " .**
من هنا كانت الوحدانية هي جوهر الدعوة التي نادى بها الحنفاء ، وهي دعوة تعود جذورها الى إبراهيم ، الذي عاب على قومه عبادة الأصنام ، ودعاهم الى عبادة اله واحد ، وحيد لا شريك له ، غير مُشخص ، يَرى ولا يُرى ، يحيي ويميت ، يتحكم في حركة الكواكب والنجوم و ويأتي بالشمس من المشرق ويُسيرها الى المغرب .
ولكن ، كيف توصل إبراهيم إلى هذه الأفكار ؟ هل مشاهداته في الكون ومراقباته لحركة الشمس والقمر هي التي جعلته يفكر باله واحد ، أم كانت رؤيا في المنام ، أم أن " الرب " أرسل له مرسالا ، أو مَلَكاً على شكل وحي، أعلمه بوجوده ودعاه الى التمرد على طقوس قومه وعباداتهم ؟.
وللإجابة على السؤال ، نُورد هذه الآية من القرآن ، فهي الأقرب لتوضيح الغرض المرجو : **" فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أُحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " سورة الأنعام آية ٧٦-٧٩ .**
ماذا نستنتج من هذه الآية ؟ تعددت مشاهدات إبراهيم ، بينما كان قومه غارقون في عبادتهم لآلهة متعددة ومُشخصة في العديد من الأصنام ، فقال لابد أن أعبد إلها آخر، واحدا ، وحيدا ، فنظر الى السماء فرأى القمر منيرا يملأ بنوره سطح

الأرض ، فأعجبه ذلك ، فداخله الاعتقاد أن القمر هو الإله الذي يجب أن يُعبد ، فباشر في عبادته ، وشيئا فشيئا بدأ يداخله الشك بأن هذا ليس الإله الذي يركن الإنسان إليه وذلك لما رأى أن القمر يتغير في شكله وحجمه ، فقال لا يمكن أن يكون الإله على هذه الصفة المتغيرة ، فانتقل بتفكيره الى الشمس ، فهي أكبر ، ولها نور يضيء الأرض ،ولها حرارة تنشر الدفء ، فعبدها ، وشيئا فشيئا بدأ يفكر في أن الإله يجب أن يكون دائم الوجود في كل الأوقات، وهذه الشمس تغيب ، فقال : لا بد أن يكون هناك إله كبير في الأعالي يرانا ولا نراه . وهو استنتاج عقلي ذاتي خالص دون " وحي " أو مرسال إلهي . فهو من عَرف واستنتج فكرة الله أولا ، ولم يكن الله هو من اتصل بإبراهيم أولا ، وأعلمه بوجوده . ففكرة الإله أو الرب كانت موجودة في أذهان البشر ، ولكنهم كانوا يشخصونه ، أو يتخذون من الأصنام واسطة بينهم وبين الله أو الرب ، وما كان من إبراهيم بتفكيره واستنتاجاته إلا أن نزع فكرة التشخيص عن الإله التي كانت سائدة عند قومه في بلاد ما بين النهرين .

ولما تركزت عنده هذه القناعة جاهر قومه بإيمانه الجديد بإله واحد ورفضه لعباداتهم ، فساموه سوء العذاب وطردوه من البلاد .

لقد كانت لدى إبراهيم القناعة فقط بأن لا يسجد لصنم ، ولم يكن لديه أية فكرة عن كيفية تأدية الطقوس والعبادات التي يقبلها الإله الواحد الأحد ، ولو قلنا أنه كان يسجد ، فان حالة السجود هي التي كانت متبعة لعبادة الأصنام أيضا ، ولو قلنا أنه كان يتجه الى قِبلة ، فلأي قِبلة كان يتجه ، حيث لم يكن هناك ، لا أقصى ولا كعبة .وان قلنا أنه كان ينظر الى السماء ، فهذا شيء طبيعي ، لأن الإله لن يكون في محيط الرؤيا على الأرض، بل في الأعالي ، حيث الأعالي مسكن الآلهة عند كل المؤمنين بالأديان الكتابية .

ولكن ، كيف وصلت هذه الأفكار إلى عرب شبه الجزيرة ؟ لقد حدثت أحداث في العراق والشام – لسنا بصدد ذكرها في هذا المبحث - اضطرت الكثير من اليهود والنصارى الى المجيء إلى شبه الجزيرة العربية واليمن ، مما أدى الى التعرف على معتقداتهم وآرائهم في التاريخ ونشأة الكون ووجود الإنسان . كما كان للرحلات التجارية الدورية المتكررة إلى الشام واليمن أثرٌ كبيرٌ في تعرف العرب على جملة من المعتقدات الدينية الكتابية وغير الكتابية – معتقدات عَبدة النار والكواكب والنجوم _ مما أدى الى مزاحمتها واختلاطها وترك تأثيرها على معتقدات العرب التي كان يسودها عبادة الأصنام والأوثان في شبه الجزيرة العربية .

إن تنوع الديانات وتقاربها في شبه جزيرة العرب قد ترك أثره في العديد من الناس الذين لم تقنعهم عبادة الأصنام ، فهجروا عبادة الأصنام والأوثان وساحوا في البلدان يبحثون عن مُعتقد يركن إليه تفكيرهم فتواصلوا مع اليهود والنصارى وقرأوا كتبهم ، ولكنهم لم يركنوا إليهم في الاعتقاد ، فعادوا للبحث عن دين جديد فقادهم تساؤلهم وبحثهم إلى المنطلق الأول في الاعتقاد ، وهو إبراهيم فساروا على نهجه . وقد أُطلق على من رجعوا في معتقدهم الى إبراهيم اسم الحنفاء .

من هم الحنفاء ؟

إن كلمة حنيف في اللغة العبرية والسريانية تعني نجساً أو مرتداً ، وفي العربية ، فان حنيف تعني المائل . وقد وُصِم بها العرب الذين هجروا عبادة الأصنام وارتدوا ومالوا عن دين أسلافهم ، وكان هؤلاء زاهدون لهم آراء توحيدية ، كما أن الكثير منهم لم يركنوا الى اليهودية ولا النصرانية ، وبقوا على توجههم الرافض للكثير من المعتقدات والطقوس والأخلاقيات التي كانت سائدة .

وهكذا كان إبراهيم مرتدا عن دين آبائه ، وكان الحنفاء مرتدين عن دين آبائهم الذين عبدوا آلهة مُشخصة على شكل أصنام ، وجنحوا نحو البحث عن اله جديد ، لا يكون في حجر ولا شجرة ولا صخرة مُشكلة ، مُشخصة . كما جنحوا عن أخلاقيات قومهم في وأد البنات وفي ذبح القرابين على النُصب، وأكل آلهتهم عند المجاعة . لقد كانوا ذوو عقول مستنيرة تتساءل ، وترفض كل ما هو غير معقول ، وتقبل ما هو مفيد للمجتمع ، وما يتقبله العقل المستنير ، ولو كان يتعارض مع معتقدات وأخلاقيات آبائهم التي كانت سائدة آنذاك .

ان الحنفاء جماعة ذو عقول مستنيرة متفتحة تفكر في كل شيء وتميل بالقبول الى المعقولية ، سخرت من عبادة الأصنام، وثارت عليها وعلى المُثل الأخلاقية التي كانت سائدة في ذلك الزمن، ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التي كانت متفشية في ذلك العهد، دعاها إلى ذلك ما رأته في قومها من عدم معقولية عبادة الأصنام ومن إسفاف في شرب الخمر ولعب الميسر ووأد البنات وما شاكل ذلك من أمور مضرة، فرفعت صوتها كما يرفع المصلحون صوتهم في كل زمن ينادون بالإصلاح، وقد أثارت دعوتهم هذه المحافظين وأصحاب الجاه والنفوذ وسدنة الأوثان شأن.كل دعوة إصلاحية. ويجوز ان يكون من بين هؤلاء من مال إلى النصرانية، غير أننا لا نستطيع ان نقول أنهم كانوا نصارى أو يهوداً، بالمعنى الشامل للكلمة ، إنما نستطيع ان نشبه دعوة هؤلاء بدعوة الذين دعوا إلى عبادة الإله رب السماء "ذو سموى" أو عبادة الرحمن في اليمن، متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها اليهودية والنصرانية إلى اليمن. ولكنهم لم يكونوا أنفسهم يهوداً أو نصارى، إنما هم أصحاب ديانة من ديانات التوحيد. ولا يعني قولنا هذا ان الحنفاء كانوا على رأي واحد ودين واحد كالذي يفهم مثلاً من قولنا يهودي ونصراني ويهود ونصارى، بمعنى أنهم كانوا طائفة معينة تسير على شريعة ثابتة كالذي ذهب" شلرنكر" اليه إنما كان أولئك الأحناف نفراً من قبائل متفرقة لم تجمع بينهم رابطة،بل كان هناك تفاوت في الوضوح الاعتقادي بينهم ، وقد اتفقت فكرتهم في رفض الكثير من الأخلاقيات والمعتقدات والطقوس السائدة ، وفي الدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي ، وأهمها رفض تعددية الآلهة . وهذا المعنى واضح في كل الأخبار التي ذكرت الحنفاء.

وعن هؤلاء العرب الأحناف يقول الدكتور جوستاف لوبون في كتابه: «حضارة العرب» ما نصه: «لقد وجد بين العرب في جزيرة العرب من يعيد إلها واحداً وسمى هؤلاء بالحنفاء، وكان محمد صلى الله عليه وسلم- يحب هذا الاسم وليست

عقيدة التوحيد التي هي من أهم مبادئ القرآن الكريم، كل ما عند الحنفاء بل قالوا ايضا، كما قال القرآن الكريم فيما بعد ان على الإنسان ان يسلم بقضاء الله وقدره تسليم ابراهيم حينما رأى ذبح أبنه اسماعيل ولذا لم يكن من الخطأ إخبار محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن بوجود مسلمين قبل ظهوره».

ومن سمات الحنفاء الكفر بالأصنام والاعتقاد بواحدية المعبود ، وإعراض عن عادات قومهم، وثورة على عقائدهم، ودعوة الى الاصلاح المعتقدي، ورفض التعددية الصنمية، وقد مهدوا له بدعوتهم تلك التي أشاعوها بين بني قومهم فجلبت عليهم السخط والغضب الشديد، مما حمل أكثرهم، وهم في الغالب من مكة وأطرافها، على الفرار من بلدتهم إلى أطرافها المنعزلة الآمنة وغيرها من الأماكن الخالية، ليكونوا في أمان من إيذاء قومهم لهم، وفي وسط يفكرون فيه في خلق السماوات والأرض تفكيراً هادئاً، فلا يزعجهم مزعج، ولا ينغص حياتهم هناك منغص.
كان الحنفاء من القارئين الكاتبين، وعرف عنهم قراءة الكتب والصحف والزبور ومجلة لقمان .يريدون بذلك الكتب المقدسة. ومنهم من يعرف العبرانية أو لغة بني ارم.

للوقوف على الحالة الدينية في جزيرة العرب قبيل الإسلام وإبان ظهوره.
يؤكد أهل الأخبار ان بعض أولئك الحنفاء كانوا يسيرون على سنة ابراهيم وشريعته، وان بعضاً آخر منهم كان يلتمس كلماته ويسأل عنها، وانهم في سبيل ذلك تحملوا المشاق والأسفار والصعاب. وقد جعلوا وجهة أكثرهم أعالي الحجاز وبلاد الشام وأعالي العراق. اي المواضع التي كانت غالبية أهلها على النصرانية يومئذ، وجعلوا أكثر كلامهم وسؤالهم مع الرهبان. وقد أضافوا إليهم الأحبار أحياناً. وذكروا ان الرهبان والأحبار أشاروا عليهم بوجوب البحث والتأمل، فليس عندهم ما يأملونه ويرجونه من دين إبراهيم وإسماعيل، ولذلك لم يدخلوا في يهودية ولا نصرانية، بل ظلوا ينتظرون ظهور دين جديد ، ومنهم من مات وهو على هذه العقيدة. مات معتقّداً بدين ابراهيم الحنيف التوحيديً.
أما كيف كانت شريعة إبراهيم، وعلى أي نهج سار الحنفاء، وهل كان لهم كتاب أو كتب أو نحو ذلك ؟ فأسئلة لم يجب عنها أهل الأخبار إجابة صريحة واضحة ، ولم يذكروا ماذا كانت تحوي صحف إبراهيم ، ولم نعرف عنها أكثر من الاسم : شريعة ابراهيم، شريعة التوحيد.

ويذكر أهل الأخبار أنه كان لأتباع ابراهيم من العرب علامات وعادات ميزوا أنفسهم بها عن غيرهم، منها: الختان، وحلق العانة، وقص الشارب، وهي علامات جعلها بعض المفسرين من "كلمات ابراهيم" التي ذكرت في القرآن الكريم، في الآية: (وإذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهن) . ذهب المفسرون والقائلون بهذا الرأي إلى أن تلك الكلمات هي عشر: "خمس في الرأس، وخمس في الجسد. فأَما التي في الرأس، فالمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب وفرق

الرأس والسواك. وأما التي.في الجسد فالإستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان". ومن سنن شريعة ابراهيم الاختتان. وهو من العادات القديمة الشائعة بين العرب الجاهليين الوثنيين.

عقائد العرب قبل الاسلام :

تنوعت عقائد عرب شبه جزيرة العرب قبل ظهور الدعوة الحنيفية للنبي محمد ما بين عبادة الأصنام بأشكالها المتعددة والمتنوعة ، الى تقديس النصب ، الى عبادة الكواكب والنجوم . وفي الجانب الآخر كانت الديانات التوحيدية موجودة خاصة في اليمن وفي الشمال على حدود بلاد الرافدين .كما وجدت أشكال لموحدين مثل الحنفاء والصابئة .

"ان العربي كان يؤمن بوجود قوى خفية روحية كامنة مؤثرة في العالم والإنسان ، في بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد ، وفي بعض مظاهر الطبيعة كالكواكب ، فربط بين هذه الكائنات والموجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية ، وقدسها . ثم تطورت وثنية العرب الى عبادة قطع الصخور التي يستحسن مظهرها وهيئتها ، ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجمل ولبنهما ، ومن أمثلة هذه الصخور " الجلسد " وكان صنما بحضرموت على شكل " جثة الرجل العظيم ، وهو من صخرة بيضاء لها كرأس أسود ، وإذا تأمله الناظر ، رأى فيه كصورة وجه الإنسان "(معجم البلدان مجلد ٢ ص ١٥١
ولقد عبد العرب الكواكب والنجوم مثل الشمس والقمر الذي كان له أهمية خاصة عند العرب الجنوبيين ، فكان عندهم بمثابة الإله الأكبر ويليه الشمس وهي اللات ، وكانت في نظرهم زوجة القمر ،وكان القمر أكثر قبولا من الشمس نتيجة لحرارتها الشديدة ، فالقمر رسول القافلة ،ولذلك لُقب بالحكيم والقدوس والصادق والعادل والمبارك والمعين والحامي ، وقد أصبحت هذه الأسماء صفات للواحد الأوحد . (.تاريخ العرب . د/ السيد عبد العزيز ص ٤١٠) .
وكان العرب يضعون الأصنام في معابد الآلهة تقربا اليها لإجابة دعاء من يدعوها الى شفائه من مرض أو قضاء حاجة ... أما الأوثان فكانت تماثيل منحوتة في الحجر ترمز الإله ، وإليها تذبح الذبائح وتقدم القرابين " (تاريخ العرب قبل الاسلام ، د/ السيد عبد العزيز ص ٤١٢) .
" نسج العربي حول الجبال والآبار والأشجار .... قصصا وأساطير ورسم صورا خيالية في الأحجار التي كان يبحث عنها في الوديان ، فقد صور خياله الصفا والمروة ، وهما صخرتان ، رجلا وامرأة مسخهما الله حجرين ، وصور خياله أسافاً ونائلة رجلا وامرأة ممسوخين حجرين على موضع زمزم " (نفس المصدر ص ٤٠٩) .
" ان العرب كانوا يقدسون الحيوان ويعبدونه كما يقدسه أهل الطوطم ، وان كان الغرض من تقديس الحيوان يختلف عما يقصد أصحاب الطوطم ، فقد كان هؤلاء

يهدفون من وراء عبادته الى إجلال الآباء ، أما العرب فكانوا يقصدونه لمجرد تحصيل البركة " . الأساطير العربية قبل الاسلام ص ٦٦ .
كما كان العرب يعتقدون أن الطوطم يحمي أهله عند وقوع الخطر ، وينصرهم على الأعداء في الحروب ، فكانوا يحملونه معهم في المعارك ، كما فعل أبو سفيان عندما حمل معه اللات والعزى يوم أُحد . (تاريخ العرب ، ص ٤٠٦) .
ذهب عمر بن لحي الخزاعي الى البلقاء بالشام طلبا للشفاء من مرض ألم به ، واستحم في إحدى حماماتها ، فشفي ، ووجد أهل البلقاء يعبدون الأصنام فقال : " ما هذه ؟ فقالوا : نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة " (ابن الكلبي ص٨) .
ومن أصنام العرب القديمة ، بل أقدمها كلها على حد قول ابن الكلبي " مناة " ، والتي تعني المنية أو الموت ،وكان منصوبا على ساحل البحر بين المدينة ومكة ،" وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة يعظمونه ويذبحون له ويهدون له " ويحجون اليه ولا يحلقون رؤوسهم إلا عنده . (ابن الكلبي ص ١٣) .
واللات هي صخرة كان يحج لها رجلا من ثقيف ، ولما مات قال لهم عمر بن لحى أنه لم يمت بل دخل في الصخرة ، حيث كانوا يصدقون كل ما يقوله ، فأمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بنيانا اسمه "اللات " ،وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش للعزى .
وذكر ياقوت أن اللات كان بيتا لثقيف بالطائف على صخرة " وكانوا يسيرون الى ذلك البيت ، ويضاهون به الكعبة وله حَجَبة وكسوة ، وكانوا يحرمون واديه " . (ياقوت ص٤) .
وكان العزى أعظم أصنام قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ، وكانت قريش تطوف بالكعبة ، وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى ، فإنهن الغرانيق العُلى ، وإن شفاعتهن لترتجى " . (ابن الكلبي ص ١٩) ،وكان للعزى منحر ينحرون فيه هداياها إسمه " الغبغب "
وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان بمشارف الشام صنم اسمه : " الأُقيصر " ، حيث كانوا يقصرون عنده شعر رؤوسهم .
وكان من العرب الصابئة ،يؤمنون بالله واليوم الآخر وقد ورد ذّكرهم في القرآن الكريم : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " ، (سورة البقرة أية ٦٢)

وبالمقابل لا يمكن تجاهل أن بعض القبائل العربية كانت تدين بالنصرانية واليهودية.وخاصة القبائل العربية في شمال الجزيرة المتاخمة للشام والعراق كانت قبل مجيء الإسلام تدين بالنصرانية وقبل النصرانية كان بعضها يدين باليهودية، ونذكر من هذه القبائل التي كانت تدين بالنصرانية قبل الإسلام: قبيلة «بني كلب» و«بني شبيان» و«بني بكر بن وائل» و«بني لخم- المناذرة» و«بني تميم» وقبائل «دومة الجندل» وشيوخهم بني الأكيدر، وقبيلة «بني تغلب

الوائلية»، التي منه الشاعر الأموي الأخطل الكبير غياث بن غوث التغلبي النصراني «ت ١٢٥ هـ».

ان هذه المنظومة الاعتقادية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية كانت من الصلابة بحيث لا تستطيع دعوة رجل واحد أن تكسرها ، لهذا كان لا بد من التهيئة الفكرية والنفسية للتغيير ، وهذا ما قام به الحنفاء الموحدين، دعاة التغيير والتمرد على ما كان سائدا .

ومن المتابعين من الباحثين قد لاحظ تجاهل دور الحنفاء في التحضير للدعوة المحمدية ، ومنهم الدكتور جواد علي حيث يتساءل :

" وبذا يمكننا أن نقول بأثر الحنفية على الإسلام وتعاليمه ولكن يبقي السؤال هو السؤال! ما السبب وراء إخفاء مثل هذه الحقائق عن عقليتنا العربية ويكتفي أهل النص بقضايا الشارع الخلفي : كسنن الوضوء والحيض والنفاس والخلوة والحجاب ويحجبون عنا أصول هذه العقائد والأعراف فبأي نص نؤمن؟؟

وجوابا على هذه التساؤلات نقول أن الكثير من كُتاب السيرة قد درجوا على إتباع الإسلوب النقلي والسردي ككل متجانس لتأريخ الأحداث التي أحاطت بظهور الدعوة المحمدية للإسلام ، والنظر لكل حدث بصورة منعزلة عما سبقه وعما تبعه من نتائج . وكان الأجدر للباحثين أن ينظروا الى التاريخ كصيرورة متحركة متسلسلة الأحداث والنتائج ، وذلك بتوضيح الكوامن الايجابية فيما قبل ، والتي بقيت في الناتج الجديد ، وذكر المظاهر السلبية التي كانت فيما قبل ، والتي زالت ولم تظهر في المجتمع الجديد . أي النظر الى التاريخ بطريقة جدلية يتم فيها دراسة العناصر الموضوعية والاجتماعية والفكرية المتواجدة في وحدة زمانية مكانية وتفاعلها المتبادل ، وما ينتج عن ذلك من وحدة جديدة .

كما أن هناك غايات شخصية أو حزبية أو سلطوية دعمت وباركت هذا التوجه النقلي والسردي للتاريخ ، واعتماد إسلوب نقل التراث ككتلة واحدة ، وليس فلسفة التراث ، أي بتبيان السلبي ونقده وتوضيح الايجابي وترسيخه ، واعتباره أساسا ايجابيا داعما للتفكير التجديدي والتطويري.

وبهذه الطريقة فان دراسة التاريخ تخلق لدى الدارس حافزا للتجديد والتطوير والنظر للمستقبل بنظرة ملؤها الأمل بمجتمع أفضل ، وليس بتقديس الماضي بجعله المثل الأعلى الذي يجب أن نبذل الغالي والنفيس للرجوع اليه .

ان هذا الإسلوب من التفكير يضع الجيل الحاضر في محنة وجود ، وهي وجود جسمه وحاجاته ومتطلباته في زمن ، وعقله في زمن آخر لا يمت للحاضر بصلة ، لا بطريقة تلبية حاجات الإنسان المادية والنفسية ، ولا بطريقة تنظيم المجتمع السياسي والاقتصادي .

ان تجاهل دور الحنفاء لحد الإنكار له بُعد مقصود في تضخيم الدعوة التوحيدية لمحمد بشكل خاص ، وإلباسها ثوب القداسة ، والخوارقية ، إن لم يكن الأسطورية ، وتبيان أن النبي محمد هو الذي تصدى ولوحده وكسر هذه الكومة من المعتقدات

المتشعبة والمتعددة ، وهذه الكومة من الأخلاق ، وأرسى النظام بدل الفوضى ، وأرسى التوحيد بدل التعددية ، وأرسى السلام والحب بدل الكراهية والحروب ، ونشر منظومة فكرية واعتقادية جديدة كل الجِدّة لا تمت لما قبلها بأية صلة ، بل ومسحت كل ما قبلها الذي أطلق عليه اسم المجتمع الجاهلي .

فمثلا ان تسمية مجتمع ما قبل الدعوة المحمدية ب" الجاهلي " لم تكن في محلها ،فكلمة مجتمع " جاهلي " تدخل في روع القارئ مفهوم اللا تنظيم ، الفوضى ، اللا أمان ، وانعدام أي قانون أو عُرف تنظيمي اجتماعي بين الناس .

ولكن المجتمع المكي كان مجتمعا تغلب عليه السمة التجارية ، والمجتمع التجاري لا بد أن يكون به بعض التنظيم الذي يمنح التاجر حرية في حركته ، وأمان على امواله وتجارته . وفي هذا يقول الكاتب شاكر النابلسي :

"لقد كان المجتمع المكي التجاري قبل الاسلام مجتمعا يسوده الأمن والاستقرار . والمؤرخون المستنيرون المعاصرون يقدمون لنا صورة مشرقة وناصعة للمجتمع المكي التجاري قبل الإسلام .حيث كان آمنا من الداخل والخارج وحوادث العدوان على الأنفس والأموال قليلة ، وكان الإنسان يحس دائما ان هناك نظاما مستقرا ، وان سكان مكة ومن حولها يتمتعون بسلام ورخاء نسبيين .وان الغش والخداع والخيانة لا تترك دون عقوبة ابدا . والمحالفات والعهود مرعية بين القبائل المتجاورة بعناية وان رجال مكة قبل الإسلام كانوا عقلاء أكفاء " . (المال والهلال – الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الاسلام). شاكر النابلسي – ط١ – ٢٠٠٢ – دار الساقي – بيروت – لبنان .

ان المتفحص للمنظومة الاعتقادية للإسلام يجد أنها لم تضف شيئا جديدا لم يكن معروفا من قبل ، بل ان معظم قصص الأقوام الغابرة وآلية تكوين الأرض والسماء التي ذكرها القرآن وردت في التوراة وأشعار أمية بن الصلت ، كما أن عادات الحج والطواف وتقصير الشعر والذبح والصيام والتوريث للأبناء والدية على القاتل ، لأهل المقتول ، والختان والطهارة واحترام الكعبة وكسوتها والمحرمات كشرب الخمر والمقامرة ، كانت معروفة ويلتزم بها البعض وخاصة الحنفاء الذين أعلنوا التمرد على مجتمعهم ودعوا الى التوحيد .

كما كانت جملة من المفاهيم والمسميات معروفة ، مثل مفهوم الله وكثير من أسمائه والجنة وجهنم والحساب بعد الموت والقضاء والقدر .

فما هو الجديد في الدعوة المحمدية ؟ الجديد تركز على فكرة التوحيد – التي سبق اليها الحنفاء - وإزالة الوسائط بين العابد والمعبود " الله " ، سواء كانت أصنام أو نصب وطقوسها المرتبطة بها ، كما كان لها توجه لنفي كل ما سبق الدعوة المحمدية من أديان وإزاحة الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية بمعاذير متعددة .

فهل كانت دعوة النبي محمد مختلفة عما دعى إليه الحنفاء ؟ فدعوة النبي محمد جمعت كل ما نادى به الحنفاء في كل واحد . من هنا فان دعوة النبي محمد هي دعوة حنيفية تتميز بالشمول والوضوح في دعوتها التوحيدية الهادفة الى التعددية وإرساء عبادة الله الواحد الأحد . وكان أقرب الحنفاء لهذه الدعوة أمية بن أبي

الصلت الذي كان أوضح الحنفاء وأكثرهم شمولية ، وظهرت هذه السمة لأمية من خلال أشعاره الدينية .

أثر الحنفاء على معتقدات العرب في شبه الجزيرة العربية :

الحنفاء موحدون وعلى ملة ابراهيم ،ولم يكونوا من قبيلة واحدة ، ولم يظهروا في زمن واحد ، بل كانوا من قبائل متعددة ومنتشرة في شبه الجزيرة من اليمن الى حدود الشام والعراق . ولم يوجد الحنفاء في جيل واحد أو جيلين ، بل وجد حنفاء على مدى عدة أجيال قبل الدعوة الحنيفية للنبي محمد .ومنهم من مات قبل الدعوة ومنهم من عاصرها .لهذا كان لهم أثرٌ كبيرٌ في التهيئة الفكرية والأخلاقية لدعوة محمد النبي . ومن آثار هذه التهيئة ،تقبل العرب لفكرة عبادة الاله الواحد الأحد.وتقبل العرب لوجود من يدين بالنصرانية أو اليهودية ومجاورته .وهذا ما قلل الاهتمام بالأصنام وعبادتها وتقديسها .

كذلك ساعد الحنفاء في نشر أخلاق جديدة كتحريم شرب الخمر وعدم أكل لحوم ما ذبح على النصب ، واعتبار وأد البنات سلوك غير مقبول عند الرب ، وتحريم المقامرة .وكان الأقرع بن حابس التميمي هو أول من حرّم القمار في مجتمع ما قبل الإسلام .

الاسلام هو امتداد لعقيدة الحنفاء وديانتهم ، ومن الأدلة القوية التي تشير الى هذا الاتجاه ما ذكره القرآن مُعظما لهذه الفئة معترفا أن هذه الفئة كانت قبله وأنه منها حيث ورد في مدح القرآن للحنفاء في سورة النساء /١٢٤ " " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن وإتبع ملة إبراهيم حنيفا وإتخذ الله ابراهيم خليلا "٠ " وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين (سورة آل عمران ٦٧) قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما مله إبراهيم حنيفا " (سورة الأنعام / ١٦١) .

كذلك فتح ظهور الحنفاء وآرائهم التوحيدية باب السخرية من الأصنام والتمرد عليها دون الخوف من تبعات لهذا التمرد .

لقد كان معظم هؤلاء نسّاكاً تشككوا في عبادة الأصنام ، وساحوا في الأرض بحثاً عن دين إبراهيم ، أو زهدوا في المجتمعات الوثنية ، و اعتزلوا عن الناس في كهوف للتأمل و العبادة و الصلاة و اعتقدوا بوحدانية لله خالصة كالوحدانية التي نادى بها إبراهيم دون أن يشركوا فيها أحداً ، و لقد كان لهذه الأفكار أعظم الأثر في تقويض الوثنية في شبه جزيرة العرب ، فأخذت الديانات الوثنية تتداعى أمام هذه الأفكار ، و لهذا السبب كثُر إخفار الآلهة قبل الإسلام ، من ذلك أن امرؤ القيس الشاعر لما قُتل أبوه ، و أراد طلب ثأره ، استقسم عند ذي الخلصة بالأزلام ، فخرج السهم ينهاه عن ذلك ، فسبّ الصنم ، و كسر القداح ، و ضرب بها وجه الصنم ، و قال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا   مثلي و كان شيخك المقبورا
لم تُنهِ عن قتل العداة زورا

فلم يستقسم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام ، و كان امرؤ القيس أول مَن أخفره _ ابن الكلبي ص٣٥ _ ابن هشام ص٨٨

و هناك قصص كثيرة تدل على استهتار بعض العرب بالأصنام مثل قصة رجل من كنانة حين نفرت أغنامه من الصنم فما كان منه إلا أن قذفه بحجر .
و قصة عدي بن حاتم مع سادن الصنم المعروف بالفلس . حيث عزف عدي عن عبادته و تنصّر و لما جاء الإسلام أسلم .

. . .
و لقد كان للحنيفية أثر واضح في إعداد العرب قبل الإسلام للنقلة ، و في إضعاف المُثل الدينية الجاهلية و الميل إلى ترك الوثنية و نبذها ، و الاتجاه نحو التوحيد

والرجال الذين قال أهل الأخبار عنهم إنهم كانوا على دين، وكانوا من الاحناف، هم:

١ ـ قس بن ساعدة الإيادي، ٢ـ زيد بن عمرو بن نفيل، ٣ـ ورقة بن نوفل القرشي . ٤ ـ أبو قيس بن الأسلت . ٥ـ عُدي بن زيد .
٦ـ عثمان بن الحويرث ٧ ـ أبوقيس بن صرمة بن أبي أنس .٨ ـ وكيع بن سلمة بن زهرة الايادي . ٩ـ عُمير بن الجندب . ١٠ ـ عامر بن الظرب العدواني . ١١ ـ عبد الطابخة بن ثعلب . ١٢ ـ علاف بن شهاب التميمي ١٣ ـ المتلمس بن أُمية الكناني . ١٤ ـ زهير بن أبي سلمى . ١٥ ـ عبدالله القضاعي ١٦ ـ عبيد بن الأبرص الأسدي ١٧ ـ كعب بن لؤي بن غالب . ١٨ ـ أسعد أبو كرب الحميري . ١٩ـ سويد بن عامر المصطلقي ٢٠ ـ أبو عامر الأوسي . ٢١ ـ سيف بن ذي يزن. ٢٢ـ خالد بن سنان العبَسْي. ٢٣ـ عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي . ٢٤ـ اكثم بن صيفي . ٢٥ـ عداس مولي عتيبة بن ربيعة الثقفي . ٢٦ـ ـقيس بن عاصم بن تميم . ٢٧ ـ عفيف بن معدي يكرب من كنده. ٢٨ ـ رئاب الشني . ٢٩ـ عبد المطلب جد النبي محمد . ٣٠ ـ أميةّ ابن أبي الصلت من ثقيف .

وفيما يلي نبذة تاريخية وفكرية مما ذكره أهل الأخبار عن هؤلاء الحنفاء :

١ـ قس بن ساعدة الايادي :

وهو قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي ?أسقف نجران؟ خطيب العرب وحكيمها؟ عُرف عنه الفصاحة حتى قيل أفصح من قس ؟ كان مؤمناً ـ لنصرانيته ـ بالبعث والحساب؟ واليوم الآخر؟ وأغلب شعره مفقود ، ولكن هناك خطبته المشهورة التي قالها بسوق عكاظ فيما يرويه المسعودي؟ قال:

قدم وفد من إياد على النبي فسألهم عن قُس بن ساعدة، قالوا: هلك ، فقال: رحمه الله كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر؟ وهو يقول:
" أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا؟ من عاش مات؟ ومن مات فات؟ وكل ما هو آت آت؟ أما بعد فإن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً؟ نجوم تُمور؟ وبحار تغور؟ وسقف مرفوع؟ ومهاد موضوع؟ وأقسم قُس قَسماً لا حانثاً فيه ولا آثماً إن - لدينا هو أرضى من دين أنتم عليه، مالي أراهم يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُرِكوا فناموا؟ سبيل مؤتلف؟ وعمل مختلف" ، ثم يعلن توحيده الخالص النقي ؛ منادياً " كلا ، بل هو الله المعبود الواحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدي ، وإليه المآب غداً " ، وقال أبياتاً لا أحفظها فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: أنا أحفظها يا رسول الله فقال: هاتها , فقال:

في الذاهبين الأولين -- من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال النبي: رحم الله قُساً إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده (مروج الذهب - المسعودي- المكتبة الإسلامية - بيروت - ج ١ ص ٦٩- ٧٠

بلا شك ، إن قس كان خطيب العرب وحكيمهم - في وقته - وعُد من الأوائل في أمور كثيرة؟ فهو أول من قال أما بعد ?وهو أول من آمن بالبعث والحساب من أهل الجاهلية؟ وأول من كتب إلى فلان بن فلان ?وأول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر (بلوغ الأرب ٢:٢٤٦ - السيرة الحلبية ١:٣١٨)، ولقس أشعار كثيرة تتمحور كلها حول البعث والحساب واليوم الآخر كقوله:

يا ناعي الموت والملحود في جَدَثٍ -- عليهم من بقايا ثوبهم خِرقُ
دَعهم فإن لهم يوماً يُصاح بهم -- فهم إذا أنبهوا من نومهم أرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهمُ -- خَلقاً جديداً كما من قبله خُلِقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهمُ -- منها الجديد ومنها المُنهَجُ الخَلَقُ

(السيرة النبوية - ابن كثير - ١:١٥١)
ومن مواعظه : كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولئن ذهبا ليعودن يوما .
وقال أيضاً : كلا بل هو الله إله واحد ليس بمولود ولا والد أعاد وأبدى وإليه المآب.

ويذكر ابن كثير أن قُس هو أول رجل تأله من العرب ووحد؟ وأقرّ وتعبّد؟ وأيقن بالبعث والحساب؟ حذّر سوء المآب؟ وذكر النشور وندب بالأشعار؟ وفكر في الأقدار؟ وأنبأ عن السماء والنماء؟ وذكر النجوم وكشف الماء؟ ووصف البحار؟ وعرف الآثار وخطب راكباً؟ ووعظ دائباً؟ وحذّر من الكرب ومن شدة الغضب؟ ورسّل الرسائل ?ونطر كل هائل؟ وأرغم في خطبه؟ وبيّن في كتبه؟ وخوّف الدهر؟ وحذّر الأزر؟ وعظّم الأمر؟ وجنّب الكفر؟ وشوّق إلى الحنيفية؟ ودعا إلى اللاهوتية (السيرة النبوية - ابن كثير - ١٤٦:١)،
وهذا الذي ذكره ابن كثير يوضح مدى أهمية دعوة قُس؟ إذا ما وُضع في الحسبان الخبر الذي ذكرناه قبلاً حول سؤال النبي عن خطبة قُس في سوق عُكاظ، فقُس شأنه شأن أغلب الحنفاء؟ لم يكتف بمجرد اقتناعه بفكر ما؟ بل كان يدعو له بلا كلل مستغلاً في ذلك أهم ملتقى عربي وهو سوق عكاظ ، وهو من القليلين الذين لم تُهاجم دعوتهم بعد الإسلام؟ وهو أيضاً من القليلين الذين لا نجد عنهم ما يثير الغموض حول دعوتهم قبل الإسلام . حيث أننا لا نجد تساؤلات كثيرة تحيط به وبدعوته.
ماذا يمكن أن نستنتج من هذا ؟ نستنتج أن قسا كان لديه عدة معتقدات منها أن الموت مصير الجميع ، وأن هناك بعث بشكل جديد بعد أن يُصاح بهم ، وكان داعيا نشيطا لأفكاره ومجاهرا بها ، ويبدو واثقا من معتقداته ورافضا بكل إصرار للمعتقدات السائدة ، وهذه الثقة قد منحته إياها سعة معرفته ،واطلاعه على كتب الأقدمين وأهمها العهدين القديم والجديد وسفره الى الشام والعراق وتعرفه على أهل الديانات السائدة عن قرب . ولم تأته هذه المعرفة ، وهذا الإيمان ، وهذه الطلاقة في طرح الأفكار ، من وحي أو رؤيا ، بل كانت استنتاجا عقليا ذاتيا خالصا . ولم يرد في الأخبار أنه ادعى النبوة ، أو أن هذه الأفكار جاءته عن طريق وحي أو رؤيا .

٢- زيد بن عمرو بن نفيل :
واما " زيد بن عمرو بن نفُيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر"، فهو من قريش من بني عدي، لم تعجبه عبادة قومه، فانتقدها وسخفها وهزَء منها ووقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وكان عدوا لوأد «لدفن» البنات وضامنا لعيشهن ودفع مصاريف تربيتهن سواء بقين عنده أو عند والديهن وامتنع من الذبح للأنساب ومن أكل الميتة والدم والخنزير، وما ذبح للأصنام ، ولام قومه على عبادتهم الأصنام، واتخاذ الأنصاب وعبادة ما لا يضر ولا ينفع .وهو من طائفة من المفكرين، سافر بعضهم الى بلاد الشام، واتصل ببعض المبشرين النصارى، ووقف على التطورات الفكرية في الخارج، ولعله كان يقرأ ويكتب، وله اطلاع على مؤلفات في الفلسفة والدين.

وقد روى ابن دريد: أن زيداً أدرك أيام الرسول؟ ثم قال: وكان النبي قبل الوحي قد حبب إليه الانفراد؟ فكان يخلو في شعاب مكة؟ قال: فرأيت زيد بن عمرو في بعض المشاعب؟ وكان قد تفرد أيضاً؟ فجلست إليه وقربت إليه طعاماً فيه لحم؟ فقال: يا ابن أخي إني لا آكل من هذه الذبائح (المفصل ٦:٤٧٣ ,(وكان زيد يعيب علي قريش ذبائحهم؟ ويقول: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه (التفصيل ٦:٤٧٤)،

ويذكر اهل الأخبار ان "زيد بن عمرو بن نفيل" كان اذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال: لبيك حقاً حقاً، تعبداً ورقاً، البر أرجو لا الخال، وهل مهجر لمن قال. ثم يقول: عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم.
أو "لبيك حقاً، تعبداً ورقاً، عذت بما عاذ به إبراهيم."
وذكر انه كان يأمر بالتوحيد وبعبادة إلهَ واحد. من ذلك قوله:
لا تعبدنّ إلهاً غير خالقكم وإن دعيتم فقولوا دونه حدد

وقيل انه كان يراقب الشمس، فإذا زالت استقبل الكعبة، فصلى وسجد سجدتين، ثم يقول: هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا اعبد حجراً ولا أُصلي له و لا آكل ما ذبح له، ولا أستقسم بالأزلام، وإنما أصليّ لهذا البيت حتى أموت. وكان يحج فيقف بعرفة، وكان يلبي، فيقول: لبيك لا شريك لك، ولا ندّ لك. ثم يدفع من عرفة ماشياً، وهو يقول: لبيك متعبداً مرقوقاً.

«. قال ابن إسحق: »وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك لعَبَدْتُك به، ولكني لا أعلمه. ثم يسجد على راحته" . ويقول : الهي إله ابراهيم ، وديني دين إبراهيم " .

ومن أقواله أيضا : " يا معشر قريش ، أيرسل الله قطر السماء وينبت الأرض ، ويخلق السائمة فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ".

. قال ابن إسحق: »وحدثت أن ابنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا للنبي: »استغفِر لزيد بن عمرو« قال: (نعم، فإنه يُبعث أمة وحده يوم القيامة).

وقد أورد أهل الأخبار شعراً كثيراً لزيد ومعظمه - إن لم يكن كله - شعر ديني حتى كان قاب قوس أو أدنى من الشعر الإسلامي، وأفضل ما نفعله في هذا المقام هو إيراد بعض هذا الشعر لزيد لكي نرى كم كان تأثير هذا في دعوة النبي محمد فيما بعد :

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمَي بني عمرو أزور

ولا غنماً أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلمي صغير
عجبت وفي الليالي معجبات وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالاً كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين بسير قوم فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوماً كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم إحفظوها متى لا تحفظوها لا تبور
ترى الأبرار دارهم جنان وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور
راجع: (الجزء الأول من »سيرة الرسول« صفحة ص ٧٦-٧٧)

وقال أيضا :

أسلمت وجهي لمن أسلمت   له المزن تحمل عذبا زلالا

وقال أيضا :

أنفي لرب البيت عان راغم   مهما يجشمني فإني جاشم
عُذت بما عاذ به إبراهيم   مستقبل القبلة وهو قائم

وترجع احدى الروايات سبب خروج "زيد" على عبادة قومه، انه حضر يوماً برفقة "ورقة بن نوفل"، و "عبيدالله بن جحش" و "عثمان بن الحويرث"، عيداً من أعياد قريش، عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه، ويعكفون عنده، أو يديرون به، وكان ذلك عيدا لهم يأتونه في كل سنة يوماً، وكانوا ينحرون له، فلما خلد بعضهم إلى بعض وتصادقوا، قالوا ليكتم بعضكم على بعض، واتفقوا على ذلك، ثم قال قائلهم:

تعلمون والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين ابراهيم وخالفوه. ما وثن نعبد؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء. فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسون اهل الكتاب" وقد زار زيد الشام والبلقاء، وعاش إلى خمس سنين قبل البعث، فهو من أولئك الرهط الثائرين على قومهم، والذين أدركوا أيام الرسول. وقد نسبوا اليه شعراً في تسفيه عبادة قومه، وفي فراقه دينهم وما لقيه منهم. وكان قد أوذي لمقالته هذه في دين قومه، حتى أُكره على ترك مكة والنزول ب "حراء"، وكان "الخطاب بن نفيل "عمه، وقد وكل به شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم كلفهم ألاّ يسمحوا له بدخول البلدة وبمنعه من الإتصال بأهلها، مخافة ان يفسد عليهم دينهم وان يتابعه احد منهم على فراق ما هم عليه.واضطر زيد إلى المعيشة في " حراء "، معتزلاً قومه، إلا فترات، كان يهرب خلالها سراً، ليذهب إلى موطنه ومسكنه، فكانوا اذا أحسوا بوجوده هناك، آلموه وآذوه.

تذكر كتب التاريخ الإسلامي أنه من الحنفاء وكان زيد لا يذبح للأوثان ?ولا يأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، ويحيي الموءودة ولا يشرب الخمر وتغلب على شعره النزعة الدينية؟

ومن أشعارزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي يقول:

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور

ولا هبلا أزور وكان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير

ولكن ما علاقة زيد بن عمرو بن نفيل بمحمد ؟ من المعروف أن النبي محمد كان معتاداً أن يقيم في غار جبل حراء في صيف كل سنة للتحنُّث ، وقد كان يتقابل مع زيد بن عمرو في حراء ، لأنه أحد أقربائه.
وأقوال ابن إسحق تؤيد هذا القول، لأنه قال إنه لما كان محمد في ذات هذا الغار » وقد كانت رؤيا محمد لجبريل وهو بحراء في شهر رمضان.. ،والخروج عن عبادة الأوثان هو التحنث في الجاهلية والتحنث ، التبرر.. قال ابن هشام تقول العرب التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء« (جزء ١ ص ٨٠ و٨١).
فكل له اطلاع على القرآن والأحاديث يرى مما تقدم أن آراء زيد بن عمرو أثرت تأثيراً مهماً جداً في تعاليم محمد، لأن كل آراء زيد نجدها في ديانة محمد أيضاً.
وهذه الآراء هي:
(١) منع الوأد (٢) رفض عبادة الأصنام (٣) الإقرار بوحدانية الله (٤) الوعد بالجنان (٥) الوعيد بالعقاب في سعير وجهنم. (٦) اختصاص الله سبحانه بأسماء: الرحمن. الرب. الغفور.
وقد قال محمد ما قال زيد بن عمرو، لأن زيداً وكل واحد من الحنفاء قال إنهم يبحثون عن " دين إبرهيم " غير أن زيداً قال إنه أدرك غايته، وهي أنه وجد هذا الدين، وأن محمداً قال إن غايته هي دعوة الناس إلى دين إبراهيم بواسطته. وكثيراً ما أطلق القرآن على إبراهيم أنه حنيف مثل زيد وأصحابه، وإن كان إطلاقه هذا اللقب في القرآن على إبراهيم يفيد ذلك بطريق الالتزام.
لقد كان زيد واثقا في نفسه ومُجاهرا بأفكاره ، وهذا واضح من خلال شعره ، وصلبا بإيمانه حيث عانى من إيذاء عمه " الخطاب بن نفيل " له وتكليف رقباء بمتابعته ومنعه من الاحتكاك بالناس ، فاعتزل في حراء ، ومن الملاحظ أن تاريخ زيد مشابه الى تاريخ النبي محمد ودعوته.
فماذا نستنتج من هذا ؟
ان زيدا لم يقل أن هذه الأفكار عرفها عن طريق وحي أو رؤيا ، وإنما كانت تعبيرا عن أن صاحبها ذو معرفة واطلاع واسع وعقلانية في التفكير وذو عقل مستنير

ويفكر في كل شيء ، ويعلن رفضه لما لا يقتنع به ، وكان صلبا في الإيمان بأفكاره حتى لو طرد من مسكنه وأوذي .

٣ - ورقة بن نوفل

وآما ورقة بن نوفل. فهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، يلتحم نسبه بنسب الرسول في جد جده. ذكروا انه ساح على شاكلة من شك في دين قومه، وتتبع اليهود والنصارى، وقرأ الكتب، وكان قريبا من النصرانية بشكل ملحوظ . ونسب اليه شعر ذكَر انه قاله في رثاء زيد بن عمرو بن نفيل، وفيه إشارة إلى النار والى الثواب والعقاب بعد الموت والى فكرة التوحيد والأيمان برب ليس رب كمثله والى التنديد بالأوثان.
وله أبيات من الشعر يحث فيها على مساعدة الضعيف ونصرة المظلوم، وعلى فعل الخير للناس.
ولا نعلم عن حياة ورقة في ايام شبابه شيئاً، ولعله كان يعين أهله أو أقربائه في اتجارهم مع بلاد الشام أو اليمن شأن أكثر شبان أسر مكة المعروفة في ذلك الوقت. فتَعلم بذلك سلوك الطرق الموصلة إلى العراق أو بلاد الشام، ومَن هنا اندفع نحو خارج الجزيرة يلتمس الحكمة والوصول إلى رأي يقنعه في الحياة.
ويظهر انه لم يكن في شبابه من اولئك الشباب الخاملين الذين كانوا يصرفون وقتهم في فراغ دائم، دون عمل ولا تفكير، متوسدين الأرض يقتلون فراغهم في ترهات الكلام، كما انه لم يكن من أولئك الطائشين النزقين الذين يقضون وقتهم في النزاع والخصومة وشرب الخمر والاعتداء على الناس، والحصول على المال للإنفاق على اللهو بأية طريقة كانت، بل كان شاباً متأملاً مفكراً منكمشاً على نفسه، مكنه علمه بالكتابة والقراءة من قراءة الكتب والاطلاع على آراء الماضين والحاضرين، حتى جاء يوم، دفعه اجتهاده الذي وصل اليه على الخروج على تقاليد قومه وانتقاد الأوضاع التي كانوا عليها، مما حمله على ترك مكة طوعاً أو قهراً، والتجول للبحث أو فراراً من غضب قومه عليه.
وهو ابن عم خديجة الكبرى زوج النبي. وقد استشارته في رؤيا زوجها ، حيث ورد أن "خديجة" ذهبت وحدها إلى ابن عمها لتسأله عن الرؤيا المخيفة التي رآها النبي وعن هذا الناموس الأكبر" الذي تجلى له. فلما قصت عليه القصة قال" :لئن كنتِ صادقة، إنّ زوجك لنبي، وليلقين من أمته.شدة، ولئن أدركته لأومنن به."
وهذه القصة تؤكد أن ورقة هو الذي قال لخديجة أن زوجها نبي . ، وشهد أنه نبي هذه الأمة، وتمنى أن يعيش إلى أن يجاهد معه، هذا مع ما له بالنبي صلى الله عليه وسلم وزوجه الصديقة خديجة من عظم القرب والإنتساب الموجب للحب ، رضي الله عنه وأرضاه . " [ينظر: خزانة الأدب للبغدادي (٣٩١/٣ – ٣٩٥)

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى " الرؤيا " الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.
ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. – ثم يعود الى غار حراء .

وفي رواية أُخرى قال ورقة بن نوفل للنبي حينما ذهب اليه مع زوجته خديجة ليسأله رأيه فيما رآه من " الرؤيا " ، وكيفية "مجيء جبريل إلى النبى في حراء"،
ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك !" وان النبي قال له: أمخرجي هم ؟ قال: نعم، إنه لم يجيء رجل قط بما جئت به إلا عودي، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً".

عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل قال : قلت : يا محمد، كيف يأتيك الذي يأتيك ؟=
=قال : يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر.

وذكر في خبر آخر أن النبي قد رأى "ورقة" في منامه، وكان لابساً ثياباً بيضاً، وان النبي ذكر ذلك لمن سأله عنه، وبين لهم انه لو كان من أهل النار لما ظهر له في منامه وهو بهذه الملابس. لأن أهل النار. لا يلبسون ثياباً بيضاً.
ويروى أن الرسول قال:"لا تسبّوا ورقة بن نوفل، فإني رأيته في ثياب بيض".
قيل إن شخصاً تساب مع أخ لورقة بن نوفل،فسب ورقة ليحرق قلب أخيه. فبلغ ذلك الرسول، فنهى عن سبّه.
وجاء في خبر ان "ورقة" كان يمر بمكة فيرى بلالاً وهو يعذَّب، يعْذبه المشركون برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء، ويضربونه يريدون منه ان يشرك بالله، فلا يشرك به. ويأبى إلا ان يقول: أحد أحد،فيرثي ورقة لحاله ويقول: أحد أحد والله يا بلال. والله لئن قتلتموه فأنتم من الخاسرين. أو "والله لئن قتلتموه، لاتخذن قبره حناناً."
ومما ورد في الأخبار أن الناس لم يشع عندهم خبر تحول ورقة الى الاسلام ، حيث قال النبي عندما بلغه خبر وفاة ورقة بن نوفل ": لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني".
ومن حديث عائشة – رضي الله عنها : -أَنَّ خَدِيجَةَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَقَالَ: " قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ فَأَحْسِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ

ووورد في بعض الروايات أنه "كان يكتب الكتاب العربي، فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء أن يكتب". وورد في رواية أخرى أنه "كان يكتب الكتاب العبراني، فكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب". والخبران هما خبر واحد، كما يظهر من وحدة النص، غير إن اسم اللغة التي زعم أنه كان يكتب بها قد حرّ ف، فقرأه بعضهم العربي، وقرأه بعض آخر العبراني. ولما كان الانجيل باليونانية وبلغة بني إرم، فقد أخطأ الرواة بجعل لغة الانجيل هي العبرانية، وهم يتوهمون كثيراً فيخلطون بين العبرانية والسريانية. والغالب أنهم كانوا يريدون بالعبرانية لغة بني إرم التي كانت لغة العلم والأدب والدين في العراق وفي بلاد الشام، بل وبين مثقفي اليهود ورجال دينهم في ذلك الوقت.
ومن أشعاره حينما سألته خديجة عن رؤيا زوجها قال إن ما خبرتنا به لا يقوله الا قس من الرهبان ليس به اعوجاج ، وهذا واضح من هذه الأبيات من شعره :

ووصف من خديجة بعد وصف -- فقد كال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي -- حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قَسٍ مِنْ -- الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود يوماً -- ويخصم من يكون له حجيجا

ومات ورقة بعد البعثة النبوية وقد سمع زيد بن عمرو بن نفيل يتحدث عن النبي القادم فقال: أنا أستمر على نصرانيتي إلى أن يأتي هذا النبي " (البداية والنهاية - بلوغ الأرب - ترجمة ورقة بن نوفل)

وكان ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل قد كرها دين قومهما في الجاهلية ورغبا عنه قبل ظهور نبوة محمد حينا من الدهر فخرجا من مكة منطلقين إلى الشام يلتمسان العلم والدين حتى إذا هبطا أدنى الشام فلقيا اليهود فعرضوا عليهما دينهم فكرها اليهودية وعرضت عليهم النصارى دينهم فأما ورقة فتنصر وأما زيد بن عمرو فكره النصرانية فقال له قائل من تلك الرهبان ما لك ولهذا الدين الذي نرى صاحبك قد رضي به قال أكره النصرانية فادللني على دين هو خير منه قال له الراهب لا أعلمه فقال له زيد فإني أكل أمري إلى الذي خلق الأديان لعله يدلني على خير الأديان فغضب الراهب وألقى الله في نفس الراهب أن يتكلم بخير الأديان فقال : إنك لتلتمس يا رجل دينا ليس يوجد اليوم في الأرض وقد كان مره فقال له زيد بن عمرو فإني أذكرك بالله وبنصرانيتك ومسيحك لما حدثتني بذلك الدين قال الراهب هو دين إبراهيم الخليل خليل الرحمن قال له زيد وما كان دين إبراهيم خليل الرحمن قال الراهب كان حنيفا مسلما يسجد قبل الكعبة فقال زيد بن عمرو للراهب ولورقة بن نوفل فإني أشهدكما أني على دين إبراهيم خليل الرحمن وإني مصل قبل الكعبة فانعت لي يا راهب بدينك ومسيحك كيف كان صنيع إبراهيم قال له الراهب دعا إلى الله فكذبه قومه وألقوه في النار فأنجاه الله منها يعني فخرج منها متوجها قبل الشام فرزقه الله المال والولد وكان يحج الكعبة ويصلى نحوها فقال له زيد فما يمنعك يا راهب من دين إبراهيم قال أمور حدثت ونحن بعد على

دين إبراهيم فقال زيد فإني مهاجر إلى ربي أسيح في هذه الأرض وأعبد الله وأصلي قبل الكعبة حتى أموت على ما مات عليه خليل الرحمن ففعل فساح في الأرض . ورجع ورقة ابن نوفل إلى مكة فأخبرهم الخبر فلما بلغ ورقة موت زيد بن عمرو بكاه وقال له فيما يقول :

رشدت فأنعمت ابن عمرو وإنما ** تجنبت تنورا من النار حاميا

دعاؤك ربا ليس رب كمثله ** وتركك جنان الجبال ما هيا

قال ابن إسحاق وقال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي فيما كانت ذكرت له خديجة من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون :

إن يك حقا يا خديجة فاعلمي ** حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه و ميكال معهما ** من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبة ** ويشقى بها العاتي الغوي المضلل

فريقان منهم فرقة في جنانه ** وأخرى بأحواز الجحيم تعلل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت ** مقامع في هاماتها ثم تشعل
وفي رواية رضوان في هاماتهم ثم مرعل
فسبحان من تهوي الرياح بأمره ** ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السماوات كلها ** وأقضاؤه في خلقه لا تبدل

وقال ورقة أيضا :
يا للرجال لصرف الدهر والقدر ** وما لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ** وما لنا بحق الغيب من خبر
فكان ما سألت عنه لأخبرها ** أمرا أراه سيأتي الناس عن أُخر
فخبرتني عن أمر سمعت به ** فيما مضى من قديم الناس والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره ** جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت إن الذي ترجين ينجزه ** لك الإله فرجي الخير وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله ** عن أمره ما يرى في النوم السهر
فقال حين أتانا منطقا عجبا ** يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني ** في صور أكملت في أهيب الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني ** مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أيصدقني ** أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوته ** من الجهاد بلا من ولا كدر

أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان ثم أخبرنا أبو البركات بن المبارك البغدادي: " وحاصل ما ذكره البقاعي في شأن ورقة بن نوفل: أنه ممن

وحد الله في الجاهلية، فخالف قريشاً وسائر العرب في عبادة الأوثان وسائر أنواع الإشراك، وعرف بعقله الصحيح أنهم أخطئوا دين أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام، ووحد الله تعالى واجتهد في تطلب الحنيفية دين إبراهيم ليعرف أحب الوجوه إلى الله تعالى في العبادة ، فلم يكتف بما هداه إليه عقله، بل ضرب في الأرض ليأخذ عن علمه عن أهل العلم بكتب الله المنزلة من عنده، الضابطة للأديان، فأداه سؤاله أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم إلى أن اتبع الدين الذي أوجبه الله في ذلك الزمان، وهو الناسخ لشريعة موسى عليه السلام: دين النصرانية، ولم يتبعهم في التبديل، بل في التوحيد.

وصار يبحث عن النبي الذي بشر به موسى وعيسى ... فلما أخبرته ابنة عمه خديجة بما رأت وأخبرت به في شأن النبي محمد ، من المخايل: بإضلال الغمام ونحوها ترجى أن يكون هو المبشر به، وقال في ذلك أشعاراً يتشوق فيها غاية التشوق إلى إنجاز الأمر الموعود، لينخلع من النصرانية إلى دينه، لأنه كان قال لزيد بن عمرو بن نفيل – لما قال لهم العلماء: إن أحب الدين إلى الله دين هذا المبشر به - : أنا أستمر على نصرانيتي إلى أن يأتي هذا النبي " [ينظر: خزانة الأدب للبغدادي (٣٩١/٣ – ٣٩٥)

واضح من خلال ما ذُكر أن ورقة بن نوفل قد انخلع من عبادة قريش وراح يسعى الى دين جديد فجنح الى النصرانية ، ولكنه لم يركن اليها إلا قولا ، ولم تشبع عنده الرغبة في الاعتقاد ، فنفسه كانت تواقة الى شيء جديد ،فقد كان يقر بالوحدانية لله الواحد الذي عرشه فوق السموات ، والبعث وأن هناك فريقا في الجنة وفريقا في الجحيم ، وكان يقر بالقضاء والقدر ، فلما سمع من خديجة عن رؤيا زوجها كان سريع التقبل والانتصار لها ، وأعلن استعداده للوقوف مع النبي الجديد ، حيث توقع وقوف قريش ضد الدعوة الجديدة .

ان جنوح ورقة الى النصرانية لأنها كانت الدين الأكثر انتشارا في الشام ووصلت الى شبه الجزيرة فتنصر البعض من قبائل العرب ، ولكنه كان أقرب الى آراء الحنفاء الذين تمردوا على كل أصناف الدين التي كانت في عصره من عبادة الأصنام الى عبادة الكواكب والأقمار ولم يركنوا الى اليهودية والبعض لم يركن الى النصرانية منهم زيد بن عمرو بن نفيل ،.وكانوا الأقرب في الاعتقاد الى دعوة حنيفية جديدة تشبع مبتغاهم الديني والدنيوي .

فكان كما باقي الحنفاء واثقا بآرائه ومعلنا إياها، واضحا فيها ومنتصرا لها ، ولديه الاستعداد للدفاع عنها ، ولكن هذه الآراء لم يصل إليها ورقة من وحي ، أو رؤيا ، ولم يقل عن نفسه أنه نبي ، بل كان لديه الدافع القوي وهو عدم الركون الى ديانة قومه وسلوكهم الدنيوي والديني في عبادة الأصنام ، ونزوعه للبحث عن معتقد جديد ، دين جديد يركن إليه، فقد جاءته هذه الأفكار من البحث والاطلاع على كتب الأقدمين والتواصل مع أصحاب الديانات خارج شبه الجزيرة العربية .

٤ـ أبو قيس بن الأسلت

صيفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي، الأنصاري أبو قيس.
وفي الإصابة: (أبو قيس: مختلف في اسمه، قيل: صيفي، وقيل: الحارث، وقيل: عبد الله . وهو شاعر جاهلي من حكماء الأوس ، بل كان رأس الأوس ، وشاعرها وخطيبها، وقائدها في حروبها.
وكان يكره الأوثان، ويبحث عن دين يطمئن إليه، فلقي علماء من اليهود ورهباناً وأحباراً.
ووصف له دين إبراهيم فقال: أنا على هذا.
وكان أبو قيس بن الأسلت قد (ذهب إلى يهود يثرب يسألهم عن الحنيفية فدعوه إلى اليهودية فرفض فخرج إلى الشام حتى وصل إلى آل جفنة ، و لما سألهم عن هذه الديانة أخبروه بأن ما سأل عنه قد تركه وراء ظهره ، فعاد إلى بلاد الحجاز و قابل زيد بن عمرو بن نفيل في مكة ، فأخبره زيد أنه على دين إبراهيم الخليل ، و أنه يترقّب نبياً من وِلد إسماعيل . (بن سعد ج٣ ص٣٧٩).

٥ ـ عديّ بن زيد:

من شعراء البلاط في الجاهلية؟ وله قصيدة نظمها في معاتبة النعمان على حبسه يقول في بيت منها:

سعى الأعداء لا يألون شراً
عليك ورب مكة والصليب

ولعله يبدو غريباً أن يقسم شاعر مسيحي بالكعبة قبل الإسلام وهي مجمع الأوثان والأصنام، ولكن ما أوردناه سالفاً من تحول بعض أحياء مكة للمسيحية؟ ووجود صور مسيحية داخل الكعبة؟ فقد كانت في الكعبة صورة لمريم العذراء وابنها عيسى مما جعل المسيحيين يقدسونها ويعظمونها,

ولعدي أيضاً أبيات يذكر فيها بدء الخليقة كما وردت في سفر التكوين يقول فيها:
اِسمع حديثاً لكي يوماً تجاوبه -- عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إله الخلق -- نعمته فينا وعرفنا آياته الأولاد
كانت رياحاً وماءً ذا عراثية -- وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت -- وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطا ثم قدرها -- تحت السماء سواءً مثل مع فعلا
(جواد علي ـ المفصل ـ ج ٦ ص ٦٦٨).
ان المتمعن في هذه القصيدة لا بد أن يلاحظ توافق القرآن معها في طرحه عن بدء الخليقة من ماء وأرض وسماء " وفضاء " . فالرياح لا تحمل الماء الا اذا كان في حالة بخر مع اختلاط في الهواء، ويكون في حالة تشبه الدخان . كما تكون في

حالة أشبه بالظلام ، كما تقول الآية :" " ثم استوى إلى السماء وهي دخان" .
ثم عزل الماء المختلط مع الهواء في السماء عن الأرض الصلبة ، كما جاء في الآية : " أولم ير الذين كفروا أنّ السماء و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما " ، ثم بسط الأرض لكي تعيش عليها الكائنات والناس .
اننا نرى أن هناك توافقا في أكثر من نقطة بين ما قاله عُدي بن زيد وما جاء في الآيتان . ولم يقل زيد انه عرف هذا من وحي أو رؤيا .

٦ـ عثمان بن الحويرث"
من أشراف "بني أسد" من قريش. وقد كان مع "خويلد بن أسد" على رأس "بني أسد" في "حرب الفجار."
وكان ينادمه "شيبة بن ربيعة بن عبد شمس". وقد تنصرا جميعا، وقتل شيبة يوم بدر كافرا .

ولعثمان أشعار يسخر فيها من صنم لهم يجتمعون إليه، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا، كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ، فدخلوا عليه ليلا فوجدوه مقلوبا على وجهه، فأنكروا ذلك وردوه الى مكانه فلم يلبث أن انقلب ثانية ، فأخذوه فردوه إلى حاله، فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اعتموا وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث: ماله قد أكثر التنكس ؟ ! .إن هذا لأمر قد حدث فجعل عثمان يقول :

أيا صنم العيد الذي صف حوله * صناديد وفد من بعيد ومن قرب

تنكست مغلوبا فما ذاك قل لنا أذاك سفيه أم تنكست للعتب

فان كان من ذنب أتينا فإننا نبوء باقرار ونلوي عن الذنب

وان كنت مغلوبا ونكست صاغرا فما بالأوثان بالسيد الرب

وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده .

وتذكر إحدى الروايات، ان وفاة "عثمان بن الحويرث " كانت بالشام وقد مات عند .قيصر، وكانت وفاته قبل المبعث بثلاثين سنة .

٧- أبو قيس بن صِرمة

وكان "أبو قيس صرمة بن أبي أنس" "صرمة بن أنس" وهو من بني النجار، قد ترهب ولبس المسوح، وهجر الأوثان، ودخل بيتاً واتخذه مسجداً لا تدخله طامث ولا جنب، وقال: أعبد رب ابراهيم، ودعا الى صلة الرحم ، فلما قدم النبي المدينة أسلم وهو شيخ كبير، وحسن إسلامه. وفيه نزلت الآية.)وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر(. ورووا له شعراً. وزعم أنه

اغتسل من الجنابة، وهمَّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها. وذكر أن "ابن عباس" كان يختلف اليه يأخذ عنه الشعر. ومن أشعاره :

فو الله ما يدري الفتـــي كيف يتقـــي

إذا هو لــــم يجــعــل له الله واقيـــــا

و لا تحفل النخـل المعيمـــة ربـــها

إذا أصبـــــحت ريا وأصبــح ثـــــاويا

: وقوله

يا بني الأيام لا تأمنوها   واحذروا مكرها و مر الليالـي

واعلموا أن أمرها لنفاد الخلق   ما كأن من جديد و بالي

وقال أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح   طلعت شمسه وكل هلال

يا بني الأرحام لا تقطعوها   وصلوها قصيرة من طوال

يا بني النجوم لا تظلموها   ان ظلم النجوم داء عضال

ماذا نستنتج من هذا ؟ نستنتج أن المعتقدات الدينية التوحيدية والأخلاق التي دعى اليها أبو قيس بن صرمة لم تأته من وحي أو رؤيا بل كانت استنتاجا عقليا كردة فعل رافضة لعبادة الأصنام والأخلاق التي كانت سائدة .

٨ - وكيع بن سلمة

وأما "وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي"، فهو من إياد، زعم "ابن الكلبي" انه ولي البيت بعد جرهم، فبنى صرحاً بأسفل مكة، وجعل فيه أمة يقال لها "حزورة"، وبها سميت "حزورة مكة"، وجعل في الصرح سلّماً، فكان يرقاه ويزعم انه يناجي الله. وكان ينطق بكثير من الخبر، وقد رأى فيه الناس انه صدِّيق من الصدِّيقين، وقالوا كان كاهناً، .وذكروا له كلمات مسجعة، ليس فيها ما يشرح لنا معتقده الديني ويوضحه وضوحاً تاماً.

والصرح كما يقول علماء اللغة، بيت يبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء وكل بناء عالٍ مرتفع. والحزورة الرابية الصغيرة والتل الصغير. ويظهر انه كان بنى صرحه فَوق تل في محل منفرد، ليختلي هناك على طريقة الرهبان والنساك.

:وذكروا عنه كلمات مسجوعة مثل :

إن ربكم ليجزين بالخير ثواباً،

وبالشر عقاباً،

وإن من في الأرض عبيد لمن في السماء،

هلكت جرهم وزيلت إياد،

ولم يقل وكيع بن سلمة أن آراءه هذه قد جاءته من وحي أو رؤيا بل كانت استنتاجا عقليا بحتا وتوجها دينيا جديدا مخالفا لما كان سائدا عند قومه .

٩ – عمير بن الجندب

وكل ما عرفه أهل الأخبار عن "عمير بن جندب " الجُهني، انه كان من جهينة،كان موحدًا، ولم يشرك بربه أحدًا، وكان شعلة من الحماس الديني المعادي للوثنية، وقد اعتزل الوثنية وحرم الميتة والدم والذبائح علي الأوثان، ونهي عن دفن البنات وهن أحياء .. وهكذا كان هذا الحنيف الجهني مثال رجل الدين والفكر المناضل بين ظلمات الجاهلية الوثنية، وقد مات قبل الإسلام .

١٠- عامر بن الظرب العدواني

كان عامر بن الظرب العَدواني من الحكماء، نسبت اليه أقوال في الحكم والدين. منها:

"إني ما رأيت شيئاً خلق نفسه، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً، ولا جائياً إلا ذاهباً، ولو كان يميت الناس الداء، لأحياهم الدواء". ثم قال: "إني ارى أموراً شتى وحتى. قيل له: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حياً، ويعود اللاشيء شيئاً، ولذلك خلقت السماوات والأرض، فتولوا عنه ذاهبين."

وقد نسبوا اليه جملة أحكام، منها حكمه في "الخنثى"، وقد ذكروا أن حكمه هذا قد أقرّه الإسلام. وقالوا إن العرب كانت إذا أشكل عليها أمر في قضاء، أو حارت في أمر معضل ترى وجوب الحكم فيه برأي صائب وعقل وتدبير، ذهبت اليه، فإذا حكم كان حكمه الحكم الفصل، فلا راد له.وقد حرم شرب الخمر ، ومن أشعاره :

أن أشـرب الخمر للذتها	وأن أدعها فإني ماقت قال
لولا اللذاذة و الفتيان لم أرها	ولا رأتني إلا من مدي الغال
سألت للفتي ما ليـس يمـلكه	ذهابه بعقول القوم والمال
مورثة القوم أضغانا بلا إحن	مزرية بالفتي ذي النجدة العال
أقسمت بالله لا أسقيها وأشربها	حتى يفرق ترب القبر أوصالى

ماذا نستنتج من هذا ؟ نستنتج أن أفكار عامر بن الظرب عن الحياة والموت والأرض والسماء وتحريمه الخمر لم يقل أنها جاءته من وحي أو رؤيا ، بل قال اني رأيت ، أي استنتاجا عقليا خالصا .

١١- عبد الطابخة بن ثعلب

ونسبت إلى كل من عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة أبيات، فيها إقرار بوجود إلَه واحد خالق لهذا الكون، وبوجود الحساب والثواب والعقاب.حيث يقول :

أدعوك يا رب بما أنت أهله ... دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لأنك أهل الحمد و الخير كله ... وذو الطول لم تعجل بسخط و لم تلم
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانياً ... و لم ير عبد منك في صالح وجم

١٢- علاف بن شهاب التميمي

يظهر من أشعار علاف أنه يقر بالوحدانية وأن الله سيجازي عبيده يوم الحساب كل بأعماله ، حيث يقول :

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة ... فأخذت منه خطة المغتال
وعلمت أن الله جاز عبده ... يوم الحساب بأحسن الأعمال

(*)بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي باب علاف بن شهاب التميمي.

١٣ - المتلمس بن أميه

وأما "المتلمس بن أمية" الكناني، فذكروا انه كان قد اتخذ من فناء الكعبة موضعاً يخطب فيه، ويعظ قومه عظات دينية، فكان في جملة ما قاله لهم "إنكم قد تفردتم بآلهة شتى، واني لأعلم ما الله راض به. وإن الله تعالى رب هذه الآلهة، وانه ليحب ان يعبد وحده"، فنفرت كلماته هذه وأمثالها القوم منه وتجنبته، وقالوا عنه انه على دين بني تميم.

١٤ – زهير بن أبي سلمى

وفي أبيات منسوبة إلى زهير بن ابي سُلمى الشاعر المعروف إقرار بوجود الَه عالم بكل ما في النفوس، هو "الله"، لا تخفى عليه خافية، فلا يجوز كتمان شيء عنه،.وبوجود يوم حساب يحاسب فيه الناس على ما قاموا به من أعمال، وقد ينتقم الله من الظالم في الدنيا قبل الآخرة، فلا مخلص له.

١٥ – عبد الله القضاعي

ونسب الايمان بالله واليوم الآخر إلى أشخاص آخرين، منهم: عبدالله القضاعي

وهو ابن تغلب بن وبرة بن قضاعة، كان من الحكماء الخطباء، يتبع الحنيفية، وينهج على نهجها مثل الحنفاء.

١٦ – عبيد بن الأبرص الأسدي

أما عبيد بن الأبرص الأسدي ، فهو شاعر جاهلي شهير،له في قتله قصة،هي من ذيول قصة" الغريَين" للمنذر بن ماء السماء. نجد في الشعر المنسوب اليه اسم "الله" يتردد في كثير من المواضع، ونراه من المتشائمين المؤمنين بالمنايا وبالمحتم المكتوب، ونراه في قصيدة له يتوكل على الله، ويدعو الناس إلى الاعتماد عليه فيقول:

من يسأل الناس يحرموه وسائل اللّه لا يخيب
باللـه يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس لـه شريك علاّمُ ما أخفت القلوب

ونراه يقول في المنايا

فأَبلغ بنيَّ وأعمامهم بان المنايا هي الوارده
لها مدة فنفوس العباد اليها وإن كرهت قاصده
فلا تجزعوا الحمام دنا فللموت ما تلد الوالده

وفي كثير من مواضع شعره يذكر المنايا ويتذكر الموت، ثم هو يتجلد ويتصبر في ملاقاة الشدائد والأهوال، وينصح الناس بالسير على هذا المنوال. والذي يقرأ شعره، يشعر أنه أمام رجل حضري رقيق عاطفي المزاج، ذو نفس ميالة الى التقشف والتصوّف، مؤمنً بالعدل، كاره للظلم .

١٧- كعب بن لؤي بن غالب

وأما "كعب بن لؤي بن غالب". فهو من أجداد النبى. وقد كان على الحنيفية،واليه كانت تجتمع قريش في كل جمعة،فكان يعظهم ويوجههم ويرشدهم ويأمرهم بالطاعة والتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وتقلب الأحوال والاعتبار بما جرى على الأولين والآخرين، ويحثهم على صلة الأرحام وإفشاء السلام وحفظ العهد ومراعاة حق القربة والتصدق على الفقراء والأيتام ويذكرهم بالموت وأهواله ويبشرهم بمبعث نبي جديد .

وله خطبه مشهورة ، حيث يقول :

اسمعوا وعوا وتعلّموا تعلموا و تفهّموا تفهموا ليل ساج ونهار صاج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين كل ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم.فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتا نشر، الدار أمامكم والظن خلاف ما

تقولون، زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم .

ان المتفحص لآراء كعب بن لؤي حول الكون وما فيه من سماوات وأرضين ، وأن الحياة تتغير ، ودعوته الى الأخلاق وحفظ العهد وصلة الرحم ، والعطف على الفقراء ، وأخيرا يحض على الاهتمام بالكعبة والتنبؤ بنبي ، هذه الآراء من أحد أجداد محمد النبي ، لم يقل أنها جاءته من وحي أو رؤيا ، بل كانت له خبرة في الحياة ومشهورا بالحكمة .

١٨ ـ أسعد أبو كرب الحميري

وكان أسعد أبو كرب ملك اليمن قد طاف بالبيت عند عودته من يثرب الى اليمن ، وأتم بقية مناسك الحج وعمر البيت وكساه ، فكان أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمر بتطهيره ، وجعل له بابا ومفتاحا " . (إبن هشام ج١ ص٢٠) . *وفي ذلك قال: فكسونا الذي حرم الله مـــــلاء مقصبا وبرودا وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لنا به اقليدا .*
ومن أشعاره :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عصره لكنت وزيرا له وابن عم

وأُلزم طاعته كل من على الأرض من عرب وعجم

ان من يقوم بهذه الأعمال ويقول هذا القول ، لا بد وأن لديه إيمان يختلف عن ما كان سائدا عند العرب قبل دعوة محمد ، ولم يأته هذا الإيمان عن وحي أو رؤيا ، بل جاء إيمانه من عدم قناعته بعبادة الأصنام والأخلاق السائدة ، وما حجه للبيت وطوافه الا تعبيرا عن تقديره للبيت وتاريخه .

١٩ ـ سويد بن عامر المصطلقي

وكل ما يعرف عن سويد بن عامر المصطلقي أنه كان على دين الحنيفية وملة ابراهيم، وأنه قال شعراً، وصلت منه بضعة أبيات في "المنايا" وفي المقدر على الإنسان، وان المنايا محتومة لا مفرّ منها، وأن الخير والشر مكتوبان على النواصي،وليس لإمرئ يدٌ فيما يصيبه من مقدور. فهي في هذه المشكلة المعضلة التي شغلت بال الإنسان ولا تزال تشغله مشكلة: "الجبر والاختيار"، أو" القدر"، المشكلة التي احتلت منزلة الصدارة في "علم الكلام". والتي صارت من أهم موضوعات الجدل في الإسلام.

ومن شعره :

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ... إن المنايا بجنبي كل إنسان
واسلك طريقك تمشي غير مختشع ... حتى تلاقي ما يمني لك الماني
وكل ذي صاحب يوما مفارقه ... وكل زاد وإن أبقيته فاني
والخير والشر مقرونان في قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان

فلما سمع النبي محمد شعره قال : " لو أدرك هذا الإسلام لأسلم " .

وهذا يعني أن سويد بن عامر كان يحمل من الآراء ما يجعله مسلما قبل مجيء الوحي والدعوة للإسلام ، وأن آراءه في "المنايا " عن القضاء والقدر لم يعرفها من وحي أو رؤيا ، ولم يقل أنه أخذها عن نبي ، بل هي استنتاج عقلي خالص .

٢٠ ــ أبو عامر الأوسي

" هو أبو عامر" واسمه "عيد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ابن أمة" الراهب ، ورد أن أبا عامر بن صيفي - المعروف بالراهب لأنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح - قدم المدينة ورأى الرسول، وسأله: ما هذا الذي جئت به ؟ فقال الرسول: جئت بالحنيفية دين ابراهيم، قال: فأنا عليها، فقال الرسول :لست عليها، ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها ، وذلك لأنه ترهب ، وذهب الى قيصر ،وبقي على نصرانيته، وقد مات وهو في بلاد الشام.

٢١ - سيف بن ذي يزن

تذكر كتب السيرة عن سيف بن ذي يزن أنه كان موحدا على دين ابراهيم .

٢٢ ــ خالد بن سنان

خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي

في الحديث عن ابن عباس ، قال : ذُكر خالد بن سنان عند النبي فقال : (ذاك نبي ضيعه قومه). وجاء في بعض الأحاديث أن ابنة خالد بن سنان (وتدعى محياة) وفدت على النبي فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وقال: ابنة نبي ضيعه أهله.. ويقال أنها أسلمت .
وفي رواية أخرى، أن ابنته حينما أتت النبي فسمعته يقرأ: "قل هو الله أحد": الإخلاص ١، فقالت: كان أبي يقول هذا. .

وقد عُرف عن خالد بن سنان العبسي أنه نبي ، وأنه كان على الحنيفية ملة إبراهيم كقس بن ساعدة وزيد بن نفيل و ورقة بن نوفل وكانت له كرامات .. قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦٩/٢) (والأشبه أنه كان رجلا صالحا

له أحوال وكرامات.) ومن كراماته أنه أطفأ نارا شديدة كانت تشتعل من شق في الأرض ، من حرة ، يقال لها حرة أشجع ، وكانت تهلك كل شيء أمامها ، فذهب اليها وحده وأخلف مسارها عنهم . وكذلك يقال أنه دعا على طير يقال له العنقاء كان يتخطف الأطفال ، فانقطع نسله وتخلصوا من شره من أرض الحجاز .

وسواء كانت هذه الأفعال كرامات تحت ستار نبوة أم غيرها ، فلم يذكر أهل الأخبار أن النبي خالد بن سنان قال أن هذه الكرامات كانت بوحي من السماء ، أو من رؤيا في المنام .

ويبقى هنا السؤال ، ما دام خالد بن سنان نبي ، كما ورد على لسان النبي محمد ، فهل له صلة بالسماء ؟ وما الدليل عليها ؟ وكيف كانت صلته ، اذا كانت له صله ، هل كانت بوحي أو رؤيا ؟ واذا لم تكن هناك صلة بينه وبين السماء ،فهذا يعني أن هناك أنبياء ودعاة في التاريخ ، بدون وحي ، وبدون علاقة مع السماء .

٢٣ ــ عبيد الله بن جحش الأسدي

اشتهر في كتب السيرة أن عبيد الله بن جحش كان في رفقة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث ، عند صنم أصنام قريش ، فقال قائلهم : »تعلمون والله! ما قومكم على شيء. لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف بــه؛ لا يسمع ولا يبصر، ولا يضــرّ ولا ينفع؟! التمسوا لأنفسكم؛ فإنكم والله! ما أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين أبيهم إبراهيم، وعبيد الله أقام على ما هو عليه حتى سمع بدعوة النبي فأسلم، وهاجر الى الحبشة مع زوجته أم حبيبة ، وقد توفي في الحبشة ، وهناك تضارب في الأخبار عن أنه توفي على الاسلام أم تنصر . وتزوج النبي أرملته أم حبيبة .

٢٤ ــ اكثم بن صبفي

حكيم العرب وأحد المعمرين الذين أدركوا الاسلام . وقد كان خطيبا بارعا يضع الكلام في مكانه ، وقد حدث أن أرسله النعمان بن المنذر على رأس وفد الى كسرى ، فألقى أمامه خطبة ، فتعجب كسرى من أكثم، ثم قال:

ويحك يا أكثم، ما أحكمك وأوثق كلامك، لولا وضعُك كلامك في غير موضعه.

قال أكثم: – الصدق يُنبئ عنك، لا الوعيد.

قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى.

قال أكثم: رُبّ قولٍ أنفذُ من صَول

لما سمع أكثم بخروج النبي بعث ابنه حبيشا ليأتيه بخبره ، فلما عاد سأل أكثم ابنه ، ماذا رأيت؟ قال رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها. فجمع أكثم قومه ودعاهم إلى أتباعه وقال لهم ان سفيان بن مجاشع قد سمي ابنه محمدا حبا في هذا الرجل وذلك لأن أسقف نجران كان يخبره بقرب بعث نبي. فكونوا في أمركم أولا ولا تكونوا آخرا. ثم نادى في قومه فتبعه مائة رجل ، فساروا حتى إذا كانوا دون المدينة بأربع ليال كره ابنه حبيش مسيره فأدلج على إبل أصحاب أبيه فنحره وشق قربهم ومزادتهم فأصبحوا ليس معهم ماء ولا ظهر فجهدهم العطش وأيقن أكثم بالموت، فقال لأصحابه اذهبوا إلى هذا الرجل وقولوا له اني اشهد ان لا أله الا الله وانه رسول الله(اي محمد). فوصلوا المدينة فأّمنوا واتبعوه وآزروه فبلغ ذلك حاجبا ووكيعا خروج اكثم بن صيفي فخرجا به فمرا على قبر ه وأقاما به ونحرا عليه جزورا ثم قدما على أصحابه فقالوا ما أمركم به أُكثم ؟ قالوا أمرنا بالإسلام فأسلما معهما.

٢٥ – عداس مولى عتيبة بن ربيعة --

هو أول الذين آمنوا بالنبي من أهل الطائف .وتبدأ الرواية حينما ذهب النبي يدعو أهل الطائف لدينه رجموه بالحجارة فأدموا قدميه ، وابتعد عنهم وجلس يستريح بقرب كرم عنب يعود الى عتيبة بن ربيعة .وكان له إبنان هما شيبة وعتبة فقالا لمولى أبيهم " عداس " اذهب واقطف عنبا لهذا الرجل ، فذهب وقدم للنبي عنبا ، فمد النبي يده قائلا : بسم الله ، فقال عداس ، ان هذا لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له النبي : من أي البلاد أنت فقال عداس : من نينوى ، فقال النبي : بلد يونس ، فقال عداس وما عرّفك بيونس ؟ قال النبي : ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي . فارتمى عداس على النبي محمد يقبل رأسه وقدميه . وعندما رأى شيبة وعتبة ما يفعل عداس ، قال شيبة : والله لقد فسد هذا الغلام ، ولا أظنه إلا قد صبأ ، وعندما عاد إليهما قالا له : ويلك يا عداس ، مالك تقبل هذا الرجل ؟ . فقال عداس : ما في الأرض شيئا خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي . فقالا له كإنا نخشى أن يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه ، وما يقوله إلا كذب وافتراء .

ولكن عداس كان أقرب الى فهم ما يعنيه محمد منهما ، ولم يخف تصديقه له وتعاطفه مع النبي .

٢٦ – قيس بن عاصم بن تميم

ذكرت كتب السيرة أن قيسا كان من المتحنفين ، وكان حليما مشهودا له بذلك ، وقد قدم على النبي وأسلم ، وفي هذا يقول عاصم: فلما دنوت منه قال النبي" :هَذَا سَيِّدَ أَهْلِ الوبرِ.." ، وقد حرم شرب الخمر وكان يوصي بذلك الناس ومن شعره في ذلك قال :

رأيت الخمر صالحة وفيها ** خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحاً ** ولا أشفي بها أبداً سقيما

ولا أعطي بها ثمناً حياتي ** ولا أدعو لها أبداً نديماً

فإن الخمر تفضح شاربيها ** وتجنيهم بها الأمر العظيما

روي عنه أنه قال للنبي : إني وأدت اثنتي عشرة بنتاً، أو ثلاث عشرة بنتاً! فقال له النبي : "أعتق عن كل واحدة منهن رقبة " .

٢٧ – عفيف بن معدي يكرب من كنده .

وهو من حنفاء اليمن .وحرم شرب الخمر ، وقال في ذلك شعرا :

وقائلة هلّم إلي التصابي ... فقلت عففت عما تعلمينا
وودّعت القداح وقد أراني ... بها في الّهر مشغوفاً رهينا
وحرّمت الخمور عليّ حتّى ... أكون بقعر ملحود دفينا

كان تاجرا كثير الحضور الى مكة ، وكان يحج البيت ، وفي يوم بينما هو في رفقة العباس ابن عبد المطلب إذ خرج رجلٌ من خباء قريب منه فنظر إلى السّماء، فلما رأى الشّمس زالتْ قام يصلّي ثم خرجت امرأةٌ من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرّجل فقامت خَلْفَه تصلّي؛ فقلت للعبّاس: مَنْ هذا يا أبا الفضل؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي. فقلت: من هذه المرأة؟ قال: خديجة بنت خويلد زوجته. ثم خرج غلامٌ قد راهق الحلم من ذلك الخباء، فقام يصلّي معه، فقلت: ومَنْ هذا الفتى؟ قال: عليّ بن أبي طالب ابن عمه. قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي ويزعم أنه نبيّ، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعمُ أنه ستفتح عليه كنوزُ كسرى وقيصر، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه:

٢٨ – رئاب الشني

ذكر أهل الأخبار عن أرياب أنه كان من الحنفاء ، ثم مال الى النصرانية في كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ،

ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة بحيرى ، ورئاب الشني والثالث المنتظر .

كان قبر رئاب الشني ، وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندها طش وهو المطر الخفيف.

٢٩ – عبد المطلب جد النبي

من خلال متابعة سيرة الحنفاء وجدت أن عبد المطلب يتحلى بصفات هي الأقرب الى الحنيفية منها الى الوثنية ، لهذا أضعه في قائمة الحنفاء .ونورد هنا ما ورد على لسان برهان الدين الحلبي الذي قال :

كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبهم عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله إن وراء هذه الدار دارا يُجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته أي فالمظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووحد الله سبحانه وتعالى ، وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان . (كذا في كلام سبط ابن الجوزي).

وقد سن عبد المطلب في القتل مائة من الإبل فأجرى الله ذلك في الإسلام ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن لهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الإسلام قال النبي: يا علي ان عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح على النصب ويقول: انا على دين ابى ابراهيم .
وهذه الحوادث والكلام المتقدم تدلل كلها على توحيد عبد المطلب وسيره على خط حنفية دين النبي ابراهيم ومما يؤيد ذلك قرائن عديدة منها كقوله لأبرهة الحبشي ان للبيت رب يحميه وكذلك توسله برب الكعبة ليعود اليه ماء بئر زمزم ، وايضاً نذره لله حين نذر ان يذبح احد أولاده ان عاد ماء بئر زمزم .
ماذا نستنتج من هذا ؟ أن الأخلاق التي تحلى بها عبد المطلب وما أقره من عادات في الطواف ورفضه لعبادة الأصنام لم تأته من وحي أو رؤيا ، بل رأى أن فيها صلاحا لتكملة هذه المشاعر .

٣٠- أمية بن أبي الصلت

كان أمية بن أبي الصلت علامة عصره علماً وكتابة، وشعراً ورواية.

فهو أحسن الحنفاء حظاً في بقاء الذكر، بقي كثيرٌ من شعره، وحفظ قسطا لا بأس به من أخباره. وسبب ذلك بقاؤه إلى ما بعد البعث، واتصاله بتأريخ النبوة والإسلام اتصالاً مباشراً وملائمة شعره بوجه عام لروح الإسلام ، لقد كان أمية حنيفيا راسخا في آرائه وعارفا لقصص كثير من الأقوام الغابرة وما حل بهم ، كما كان يعرف وصفا جليا للجنة وأهلها وأهوال النار وأهلها ، ويوم الحساب ،والقضاء والقدر ، وعرش الرحمن . والأرض والسموات السبع ، وذكر في شعره قصة سفينة نوح وحمولتها ومرساها ،وقصة أهل الكهف ، وقصة مريم العذراء وقصة فرعون وشق البحر ،وذو القرنين ، وقد ظهر هذا جليا في أشعاره والتي تتشابه مع كثير من الوصف القرآني لهذه القصص .ولا بد أن نلاحظ أن الشعر الديني المنسوب إليه ما يقترب اقترابا شديدا من القرآن معنًى ولفظًا ، وإن المتفحص لأشعار أمية بن السلت لا بد وأن يلاحظ الشراكة الفعلية بينه وبين النبي محمد في الأفكار لدرجة التطابق أحيانا ،وهذا وضع أمية في موقع متميز بين الحنفاء .

وأمية كأكثر الشعراء له شعر في المدح وله تعريض. وأكثر مدحه في "ابن جدعان" من أُجواد العرب المعروفين المشهورين في الجاهلية. وهو في المدح أو في الرثاء أو في كل مناسبة أُخرى، مستعمل لكلمات ذات صلة بالدين وبالأفكار الدينية ولمصطلحات لا ترد إلا نادراً في الأشعار المنسوبة إلى الشعراء الجاهليين، مما يدل علي غلبة التفكَير الديني عليه، وتأثير ما قرأه أو أخذه من غير العرب فيه. سئل الأصمعي عن شعر أمية، فقال" :ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب،وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب."
ووالد "أمية"، هو "عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي" أو "ربيعة ابن وهب بن علاج بن أبي سلمة" الثقفي على رواية "الزبيري". أما أمه فهي "رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف". وقد كان والده شاعراً. ذكر انه مدح "سيف بن ذي يزن.."

وأميةّ مثل سائر الموحدين الآخرين من طبقة الحنفاء، سافر إلى الشام، واتصل بأهلها، وأوى إلى الأديرة ورجال الدين يسأل منهم ما يهمه من مشكلات دينية وعما كان يجول في خاطره من عبادة قومه وحقيقة العالم. وكان تاجراً، يذهب مع التجار في قوافلهم إلى تلك الديار التي كَانت في أيدي الروم. ثم إنه كان على ما يظهر من الروايات التي وردت في ترجمته وسيرته قارئاً كاتباً، قرأ الكتب، ووقف عليها. ومنها ومن اتصاله برجال الدين وبأهل الكتاب تكونت عنده فكرته عن الدين،وشكّه في عبادة قومه وفيما كانوا عليه من عقائد وعبادات. وقد بدا هذا التأثر في الكلمات والمصطلحات الأعجمية والغريبة المستعملة في شعره وفي الأمثلة والقصص المنتزع من الكتابين :للعهد القديم والعهد الجديد ومن موارد أخرى عديدة من الموارد الشائعة المستعملة عند أهل الكتاب.
والرأي الصحيح هو أن أمية قد رافق الكتب ونظر فيها، ليستلهم منها العلم والحكمة واتبع منها ما رأى أنه الأحسن ، ثم حرّم الخمر على نفسه مثل بقية الموحدين، وتجنب الأصنام، وصام، والتمس الدين، وذكر إبراهيم وإسماعيل، وانه

كان أول من أشاع بين قريش افتتاح الكتب والمعاهدات والمراسلات بجملة: "باسمك اللهم"، وهي الجملة التي نسخت في الإسلام بجملة: "بسم الله الرحمن الرحيم". ويذكر أهل الأخبار ان أُمية أخذ جملة: "باسمك اللهم" من شيخ كان منطوياً على نفسه في برية نائية، عُرف عنه بالصلاح وكان يطرد الحيّات بها .
إن أُمية كان يعظم الله في شعره ويكبره ويحمده، ويرى أنه إلهَ واحد لا شريك له، وأن من يشرك به أحداً فقد ظلم نفسه:
الحمد لله لا شريك لـه من لم يقلها فنفسه ظلما .
ومن أشعاره :

إنَّ آيات ربنا باقي	**ما يُماري فيهنَّ إلاَّ الكفورُ**
خلق الليلَ والنهارَ فكل	**مستبين حسابه مقدورُ**
ثم يجلو النهار ربٌ كريم	**بمهاةٍ شعاعها منشورُ**
كل دينٍ يوم القيامة عند	**اللـه إلاَّ دين الحنيفة زورُ**

وقد وردت لفظة "حنيفاً" في عشر مواضع من القرآن الكريم .

ولتأييد هذا نورد من القرآن بعض آيات قليلة، فورد في سورة النساء ٤: ١٢٥ »ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً« وورد في سورة آل عمران ٣: ٩٥ »قل صدَق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين« وورد في سورة الأنعام ٦: ١٦١ »قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً .

وقد أشير إلى "الحنيفية" و "الحنفاء" في كتب الحديث. وقد بحث عنها شرّاح هذه الكتب. ومما نسب الي النبي محمد حديث: "لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة". وحديث: "بعثتُ بالحنيفية السمحة السهلة". وحديث "أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة".

وقال أيضا عن الأرض :

تعلَّمْ فإنَّ اللـه ليس كصنعة	**صنيعٌ ولا يخفي على اللـه مُلْحَدُ**
وتوشيم ورسمُ علامةٍ	**وخزائن مفتوحةٌ لا تنفد**
والأرض نوَّخها الالـه طروقةً	**للماء حتى كلُّ زنْدٍ مُسْفَدُ**
والأرض معقلنا وكانت أُمَّنا	**فيها مقابرنا وفيها نوأَدُ**
فيها تلامذةٌ على قُذُفاتِها	**حُسُراً قياماً فالفرائص تُرعَدُ**

فكأنَّ بِرقعَ والملائكُ حولـها　　سَدِرٌ تواكلُهُ القوائم أجرد

شدَّ القطوعَ على المطايا ربُّنا　　كلٌّ بنعماءِ الإلـه مقيّدُ

بفصوصِ ياقوتٍ وكظَّ بعرشه　　هولٌ ونارٌ دونه تتوقدُ

وترى شياطيناً تروغ مضاعةً　　ورواغها شتَّى إذا ما تُطرَد

ُ تُلقى عليها في السماءِ مذَلَّةٌ　　وكواكبٌ تُرمى بها فَتَعرَّدُ

ملك على عرش السماء مهيمنٌ　　تعنو لعزَّته الوجوهُ وتسجدُ

لولا وثاق اللـه ضلَّ ضِلالُنا　　ولسرَّنا أنّا نُتلُّ فنُوأَدُ

للـه نعمتنا تبارك ربُّنا　　ربُّ الأنام وربُّ من يتأبدُ

وقال أيضا :

إلـهُ العالمين وكلِّ أرضٍ　　ورب الراسيات من الجبال

بناها وابتنى سبعاً شدادا　　بلا عَمدٍ يُرَيْنَ ولا رجال

وسوَّاها وزيَّنها بنور　　من الشمس المضيئةِ والهلال

ومن شُهُبٍ تلأْلأ في دجاها　　مراميها أشدُّ من النِّصالِ

وشقَّ الأرض فانبجست عيوناً　　وأنهاراً من العذب الزلال

وبارك في نواحيها وزَكَّى　　بها ما كان من حرّثٍ ومالِ

فكل معمَّرٍ لا بد يوماً　　وذي دنيا يصير إلى زوال

ويفنى بعد جدَّته ويبلى　　سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ

وسيق المجرمون وهم عراةٌ　　إلى ذات المقامع والنَّكالِ

فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً　　وعجُّوا في سلاسلـها الطوالِ

فليسوا ميِّتين فيستريحوا　　وكلُّهمُ بحرِّ النار صالِ

وحلَّ المتَّقون بدار صدقٍ　　وعيش ناعم تحت الظلالِ　　لـهم

ما يشتهون وما تمنوا　　من الأفراح فيها والكمالِ

وقال في قصيدة له بعنوان اقترب الموعد :

اقترب الوعدُ والقلوبُ إلى اللـهو وحب الحياة سائقها

باتت همومي تسري طوارقها اكف عيني والدمع سابقها

لما أتاها من اليقين ولم تكن تراه يلمُّ طارقها
ما رغبة النفس في الحياة وإن عاشت طويلاً فالموت لاحقها قد
أُنبئتْ أنهَّا تعود كما كانت بديّاً بالأمس خالقها وإنَّ
ما جمَّعتْ واعجبها من عيشها مرَّةً مفارقها
تعاهدت هذه القلوب إذا همَّت بخير عاقت عوائقها

وصدَّها للشقاء عن طلب الجنَّة دنيا الآلـهُ ما حقها

عبدٌ دعا نفسه فعاتبها يعلم أن الصبر رامقها

من لم يمت عبطةً يمت هرماً لَلْموتُ كأْسٌ والمرءُ ذائقها
يوشك من فرَّ من منيته في بعض غِرّاته يوافقها لا
يستوي المنزلانِ ثمَّ ولا الأعمالُ تستوي طرائقُها أمن
تلظَّى عليه واقدَة النار محيط بهم سرادقها أم
مسكن الجنة التي وُعِدَ الأبرار مصفوفةٌ نمارقها
هما فريقان فرقة تدخل الجنة حفَّتْ بهم حدائقها وفرقة منهم
وقد أُدخلت النار فساءتهمُ مرافقها

وقال أيضا :

الحمد للـه الذي لم يتخذ ولداً وقدَّر خلقه تقديرا

وعنا لـه وجهي وخلقي كلـه في الخاشعين لوجهه مشكورا

من يطمس اللـه عينيه فليس لـه نورٌ يُبين به شمساً ولا قمرا

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وفي ذكر سفينة نوح قال :

رفت أن لن يفوت اللـه ذو قِدَمٍ وأنه من عبيد السوءِ ينتقمُ
المُسْبِحُ الخُشْبَ فوق الماء سخَّرها خلال جريتها كأنَّها عُوَمُ
تجري سفينة نوح في جوانبه بكلِ موج مع الأرواح تقتحمُ
مشحونة ودخانُ الموج يدفعها ملأى وقد صُرعت من حولـها الأُمم

حتى تسوَّت على الجوديّ راسيةً   بكل مـا استودعت كأنها أُطُمُ   نـوديَ
قم واركبن بأهلك إن   اللـه موف للنـاس مـا زعمـوا   والبـان
والزيت والسمراء أخرجها   هذا الدهان وهذا النُّقْلُ والأُدمُ   تلكم
طَروقته واللـه يرفعها   فيها العذاةُ و فيها ينبت العُتُمُ

وفي قصيدة أخرى قال :

سمع اللـه لابن آدم نوح   ربّنا ذو الجلال والافضال

حين أوفى بذي الحمامة والنا   سُ جميعاً في فلكه كالعيال

فهي تجري فيه و تجتسر البحـ   ـر بأقلاعها كَقِدْح المغالي

تصرخ الطير والبرية فيها   مع قوي السباع والأفيالِ

حين فيها من كل ما عاش زوج   بين ظهري غواربٍ كالجبالِ

++ وعن قصة رؤيا ابرهيم وابنه قال :

ولإبراهيم الموّفي بنذرٍ   احتساباً وحامل الأجزالِ

أبنيَّ إني نذرتك للـه شحيطاً   فاصبر فدىً لك حالي

أجاب الغلام أن قال فيه   كل شيءٍ للـه غيرُ انتحال

أبتي إنني جزيتك باللـه تقياً   به على كل حال

فاقض ما قد نذرت للـه واكفف   عن دمي أن يمسه سربالي

واشدد الصَّفْدَ لا أحيدَ عن السكِّـ   ـين حيد الأسير ذي الأغلال

إنني آلم المحزُّ وإني   لا أمسُّ الأذقان ذاتَ السبالِ

ولـه مُدْيةٌ تخايَلُ في اللحمِ   حذامٌ حنيَّةٌ كالـهلال

جعل اللـه جيده من نحاس   إذا رآه زوْلاً من الأزوال

بينما يخلع السرابيل عنه   فكَّهُ معَّه بكبش حُلالٍ

قال خذه وارسل ابنك إلي   لكن معه فعنا غير قال

والد يتقي وآخر مولو   د فطا را منه مسمع فعال

حَيٍّ داودَ وابنَ عادٍ وموسى   وفُرَيْعٌ بنيانه بالثقال

ولـه الدين واصباً ولـه الملك   وحمدٌ لـه على كل حالِ

++ العمر منتهي ويوم الحساب للجميع :

كل عيشٍ وإن تطاول دهراً   منتهى أمره إلـى أن يـزولا
إن يومَ الحساب عظيمٌ   شاب فيه الصغير شيباً طويلاً

جاء في القرآن :

" فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا " (المزمل – ١٠) .

+ ولا يوم الحساب وكان يوماً   عبوساً في الشدائد قمطريرا

+ يوقَفُ الناس للحساب جميعاً   فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

+ الخيط الأبْيضُ ضوءُ الصبحِ مُنْفَلِق   والخيطُ الأسْودُ لونُ الليلِ مكموم

++ وفي قصيدة له بعنوان : الى الملك الأعلى

إلى اللـه أُهدي مدحتي وثنائيا   وقولاً رصيناً لا يني الدهرَ باقيا

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه   إلـه ولا رب يكون مدانيا

وعن قصة لوط :

ثم لوط أخو سدوم أتاها   إذ أَتاها برشدها وهداها
راودوه عن ضيفه ثم قالوا   قد نهيناك أن تقيم قِراها
عرض الشيخ عند ذاك بناتٍ   كظباءٍ بأجرعٍ ترعاها
غضب القوم عند ذاك وقالوا   أيها الشَيخ خُطبةً نأباها
أجمع القوم أمرهم وعجوزٌ   خيَّب اللـه سعيها ولحاها   أرسل
اللـه عند ذاك عذاباً   جعل الأرض سفلـها أعلاها   ورماها
بحاصبٍ ثم طينٍ   ذي حروفٍ مسوَّمٍ إذ رماها   مُنْجٍ ذي
الخير من سفينةً نوح   يوم بادت لَبنان من أُخراها   فار تَنَّورُه
وجاش بماءٍ   طمَّ فوق الجبال حتى علاها   قيل للعبد
سر فسار وباللـه   على الـهول سيرها وسراها   قيل فاهبط
فقد تناهت بك الفلك   على رأس شاهق مرساها

****

ومما جاء في شعر هذا الشاعر من عقائد وآراء في الاعتقاد بوجود إلَه واحد، خلق الكون وسوّاه وعدله، وأرسى الجبال على الأرض، وأنبت النبات فيها، وهو الذي يحيي ويميت،ثم يبعث الناس بعد الموت ويحاسبهم على أعمالهم، وليجازيهم بما كسبت أيديهم، فريق في الجنة وفريق في النار، يساق المجرمون عراة إلى ذات المقامع والنكال مكبلين بالسلاسل الطويلة وبالأغلال، ثم يلقى بهم في النار يصلونها يوم الدين، يبقون فيها معذبين بها، ليسوا بميتين، لأن في الموت راحة لهم، بل قضى الله ان يمكثوا فيها خالدين أبداً . أما المتقون،فإنهم بدار صدق ناعمون تحت الظلال

انظر في هذه القصيدة من قصائد أمية في وصف الجنة والنار التي

استهلت بهذا البيت:

جهنمُ تلك لا تُبقي بغيّاً	وعدْنٌ لا يطالعها رجيم
إذا شبَّت جهنم ثم فارت	وأعرض عن قوابسها الجحيمُ
فتسمو ما يُعنِيها ضَرَاءٌ	ولا تخبو فَيَبْرَدُها السَّمُومُ
فهم يطغون كالأقذاء فيها	لئن لم يغفر الرب الرحيمُ
بدانية من الآفات نزهٍ	بَراءٍ لا يُرى فيها سقيم
يفيضِ حلابُها من غير ضَرْعٍ	ولا بَشمٌ ولا فيها جُزُومُ
فذا عسل وذا لبن وخمرٌ	وقمح في منابته صريم
ونخلٌ ساقطُ القِنْوانِ فيه	خلالَ أُصُولِهِ رُطَبٌ قميم
وتفاحٌ ورمانٌ وتينٌ	وماءٌ باردٌ عذبٌ سليمُ
وحور لا يرين الشمس فيها	على صور الدُّمى فيها سُهوم
نواعم في الأرائك قاصرات	فهنَّ عقائل وهمُ قُروم
على سُرُرٍ ترى متقابلات	ألا ثمَّ النضارة والنعيمُ
عليهم سندس وجياد رَيْطٍ	وديباج يُرى فيها قُتوم
وحُلّوا من أسوار من لجينٍ	ومن ذهب وعسجدةٍ كريم

ولا لغو ولا تأثيم فيها ... ولا غَوْلٌ ولا فيها مُليم

كأس لا تصدع شاربها ... يَلَذُّ بحسن رؤْيتها النديم

تصفَّق في صحافٍ من لجينٍ ... ومن ذهب مباركةٍ رذومُ

إذا بلغوا التي أجروا إليها ... تقبلـهم وحُلِّل من يصوم

وخُفِّفت النذور وأردفتهم ... فضول اللـه وانتهت القسوم

عبادك يخطئون وأنت ربٌ ... بكفيك المنايا والحتومُ

غداة يقول بعضهم لبعضٍ ... ألا يا ليت أمكم عقيمُ

فلا تدنو جهنَّمُ من بريءٍ ... ولا عدن يحلُّ بها الأثيم

بريء النفس ليس لـها بأهلٍ ... ولكن المسيء هو الملوم

تأمل صنع ربك غير شكٍ ... بعينك كيف تختلف النجومُ

فما تجري سوابقُ مُلْجمَاتٌ ... كما تجري ولا طير يحوم

هو المجرى سوابقها سراعا ... كما حبس الجبال فما تريم

ألا يا ويلـهم من حرّ نار ... كصرخة أربعين لـها وزيمُ

ولا يتنازعون عنان شِركٍ ... ولا أقوات أهلـهم القُسومُ

ولا قَرْنٌ بُقزّرُ من طعام ... ولا نَصِبٌ ولا مولى عديم

*****

يدعون بالويل فيها لا خلاق لـهم ... إلاَّ سرابيلُ من قِطْرٍ واغلالُ

******

إن الحدائق في الجنان ظليلةٌ ... فيها الكواعب سدرها مخضودُ

كانت لـهم جنة إذ ذاك ظاهرة ... فيها الفراديس والفومانُ والبصلُ

وقال أيضا :

لم يخلق السماء والنجوم ... والشمسُ معْها قمرٌ يقوم

قدَّرَهُ المهيَّمنُ القيّوم   والحش والجنة والنعيم

الا لأمر شأنه عظيم

وعن الأرض قال :

والأرض سوّى بساطاً ثمَّ قدَّره   تحت السماءِ سواءً مثلما ثَقَلا
وجاعل الشمس مِصْراً لا خفاءَ به   بين النهار وبين الليلِ قد فصلا
كيف الجحود وإنّما خلق الفتى   من طين صلصالٍ لـه فخَّار
دحوت البلاد فسوَّيْتَها   وأنت على طَيِّها قادرُ

ولنرى ما يقول في قصة مريم :

وفي دينكم من رب مريم آية   منبئةٌ بالعبد عيسى ابن مريمِ
أنابت لوجه اللـه ثم تبتلت   فسبَّح عنها لومةَ المتلومِ
فلا هي همَّت بالنكاح ولا دنت   إلى بشر منها بفرجٍ ولا فمِ
ولطَّتْ حجاب البيت من دون أهلـها   تغيب عنهم في صحاريِّ رِمْرم
يحار بها الساري إذا جن ليلـه   وليس وإن كان النهارُ بِمُعْلَمِ
تدّلى عليها بعد ما نام أهلـها   رسولٌ فلم يَحَصَرْ ولم يترمرم
فقال ألا لا تجزعي وتكذبي   ملائكةً من رب عادٍ وجرهمِ
أنيبي وأعطي ما سُئلتِ فإنني   رسول من الرحمنِ يأتيكِ بابنمِ
فقالت لـه أنَّى يكون ولم أكن   بغياً ولا حبلى ولا ذاتَ قِيّمِ
أأُحْرَجُ بالرحمن إن كنتُ مُسْلماً   كلامي فاقعد ما بدا لك أوْ قمِ
فسبَّح ثم اغترَّها فالتقت به   غلاماً سويَّ الخلق ليس بتوأَمِ
بنفخته في الصدر من جيب درعها   وما يصرمِ الرحمن مِلأمِرِ يصرمِ
فلمَّا أتمته وجاءت لوضعه   فآوى لـهم من لومهم والتندُّمِ
وقال لـها من حولـها جئت منكرا   فحقٌ بأن تُلَحيْ عليه وتُرجمي
فأدركها من ربّها ثمَّ رحمة   بصدقِ حديث من نبيٍّ مكلمِ
فقال لـها إني من اللـه آية   وعلَّمني واللـه خير معلمِ
وأُرسلت لم أُرسَلْ غوياً ولم أكن   شقياً ولم أُبعثْ بفحش ومأْثمِ

وعن ذو القرنين قال :

قد كان ذو القرنين قبلي مُسْلِماً   ملكاً علا في الأرض غيرَ مُعَبَّدِ
بلغ المشارق والمغارب يبتغي   أسباب ملك من كريم سيِّدِ
فرأى مغيب الشمس عند مآبها   في عين ذي خُلُبٍ ويأطٍ حرمدِ
من قبلـه بلقيسُ كانت عمتي   حتى تقضَّى ملكُها بالـهدهد

وعن قصة موسى يقول :

وأنت الذي من فضل ومن رحمة بعثت إلى موسى رسولاً منادياً
فقلت له يا اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغياً
وقولا له أأنت سويت هذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه بلا عمد ارفق إذا بك بانيا

****

ومن الجدير بالملاحظة أن كثيرا من المطلعين على أخبار الحنفاء وأفكارهم وأشعارهم ، وخاصة الباحثين المسلمين ، حينما يجدون تشابها بين ما قاله الحنفاء وخاصة أمية وبين القرآن وقصصه ، يبدءون في التشكيك في المعطيات الظاهرة أمامهم وهي أن القرآن لم يذكر قصة من قصص الأقوام الغابرة الا وكانت معروفة عند الحنفاء أو بعضهم بشكل أو بآخر ، ويقولون لقد قيلت هذه الأشعار بعد أن أصبحت قصص القرآن متداولة بين الناس ، أو هناك دس مقصود لهذه القصص في أشعار الحنفاء .
إن العديد من الحنفاء ماتوا قبل الدعوة أو عاصروها لعدة سنين ، ومنهم أمية الذي عاش حتى السنة التاسعة للهجرة ، وكانت أشعاره وما فيها من قصص منتشرة ، وحتى هذه السنة لم يكن القرآن مكتملا ومنتشرا ، بل كان في صدور الحفظة والأقربين والملتصقين بالنبي محمد .

ان التشابه بين أمية و النبي كان تشابها جوهريا والاختلاف كان في الشكل فقط ، شكل عرض الأفكار ، فقد وصلت لنا آراء أمية شعرا ، بينما وصلت أفكار النبي محمد نثرا يغلب عليه السجع ، تم جمعها في القرآن .

ان الوضع المتميز لأميه بن الصلت وخاصة أشعاره ،قد أوجد حوله تساؤلات كثيرة ، ليس عند المؤرخين والمستشرقين بل وكل قارئ عادي ، ومن هذه التساؤلات : من أخذ من الآخر ، أمية أخذ من محمد أم محمد النبي أخذ من أمية ؟ وهل هناك منهل مشترك استقى كل منهما آراءه منه بشكل منفصل عن الآخر ، فجاءت متشابهه مع بعضها ؟ من سبق الآخر في الرواية ، أم أن أشعار أمية المتوافقه مع القرآن قد أُلصقت به بعد موته ؟

تتضارب الآراء حول أمية والنبي محمد ، من أخذ من الآخر ؟

ومن الممكن ايجاز هذا الاختلاف في الرأي في اثنين :

ـ الرأي الأول : ان التشابه بين ما جاء في شعر أمية والقرآن يرجع الى دس هذه الأشعار الإسلامية في شعر أمية ، ونسبها اليه بعد موته .والقول بأن أمية لم يمت على دين الحنيفية .

ـ الرأي الثاني : أن القرآن على لسان النبي محمد كان ترديدا لما جاء في شعر أمية سواء في دعوته التوحيدية ، أو في ذكر الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها ويوم الحساب الذي فيه العقاب للعُصاة والثواب للمتقين ، ومن قصص وأحداث عن نوح ولوط ومريم وفرعون ... الخ ..

وسنحاول هنا توضيح هذه الآراء بالايجاز المفيد .

فالقول بأن التشابه بين شعر أمية والقرآن يرجع الى " دَ س " هذه الأشعار ضمن شعر أُمية ونسبها اليه بعد موته ،لأن هناك من يستفيد من رفعة سيرة أمية ونسبه ، والسند في ذلك التشابه الشديد بينهما ، لأن ما ورد في شعر أمية يدل على معرفة كاملة وايمان كامل بالإسلام ، فالروح الإسلامية ظاهرة ولا يمكن أن يكتبها الا مسلم شديد الإيمان .

ان هذا الرأي الذي يرتكز على فكرة " الدس" يجانب الصواب لسببين وهما :

السبب الأول : التشكيك في إيمان أمية بالحنيفية الموحدة للمعبود ، لإله واحد ـ، وأن أُمية لم يمت مسلما ـ لأنه مدح قتلى بدر ،وبذلكٍ لا يمكن أن يصدر عنه هذا الشعر المشبع بالإيمان ـ فالمتتبع لسيرة أمية لا بد أن يرى أن إيمانه لم يتزعزع أبدا وكل أشعاره تدل على ذلك و هو القائل :

كل دينٍ يوم القيامة عند اللـه إلاَّ دين الحنيفة زورُ

وقال أيضا :

لك الحمد والمن ربّ العبا د أنت المليك وأنت الحكم.

ومما ذكره أهل الأخبار والسيرة أن النبي محمد كان يحب شعره ، ولم يذم أو يرفض ما كان يسمعه حيث وجد توافقا بينه وبين أمية في الحنيفية ووحدانية المعبود .

ولأمية بن أبي الصلت أخت، اسمها "فارعة". قدمت على النبي بعد فتح الطائف، وكانت ذات لبّ وعفاف وجمال، وكان يعجب بها. وقال لها يوماً: هل تحفظين من شعر أخيك شيئا ؟ فأخبرته خبره وقصت قصته في شق جوفه وإخراج قلبه وردّه مكانه وهو نائم وأنشدته شعره .

.من هنا قال النبي عند سماعه لأشعار أُمية " لقد آمن شعره وكفر قلبه ".

والشعر هو نتاج عقلي ناتج عن اعتقاد ينتج عن قناعة نتجت عن طول بحث واستقصاء ، وأما القلب فهو مركز العواطف ، والعواطف سريعة التغيير ومرتبطة بحوادث آنية ينتج عنها ردود أفعال نتيجة لأحداث طارئة ـ أما إيمان العقل فيكون أكثر صلابة بالمقارنة مع تقلبات القلب وعواطفه. من هنا فإن ما قاله النبي عن أمية " لقد آمن شعره وكفر قلبه "، لا يعني أن أمية كافرا ، بل هو مؤمن وينقصه

أن يتواصل مع النبي ويشهد أمامه بنبوته . كما أن أشعاره اعتقاديه وإيمانية بمبادئ الحنيفية ، وكان واضحا أكثر من غيره من الحنفاء .
ومن الملاحظ عند المتتبعين لأخبار السيرة أن أحدا لم يميز بين إيمان العقل وإيمان العواطف ، أي أننا عند متابعة تاريخ أمية في الحنيفية وفي دعوته لها لا نرى أي وازع قوي لكي نضعه في صف المنكرين للوحدانية وملة إبراهيم ، وهي أصل الاعتقاد الذي نادى به الحنفاء بما فيهم محمد النبي .

السبب الثاني : الإيحاء بوجود أهداف مُغرضة قامت بدس هذه الأشعار ونسبها الى أمية بعد موته ، ولم يكن هو قائلها الأصلي .

فقد ذكر أهل الأخبار أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يحب مدح أمية لأنه من ثقيف ، وربما قام البعض من بدس هذه الأشعار في شعر أمية لنيل الحظوة عند الحجاج .

وهذا الرأي لا يمكن الاعتماد عليه ، لأن أشعار أمية كانت معروفة قبل الحجاج ، ولا يستطيع أحدٌ أن يكتب مثلها . وفي حالة دس أشعار لأمية في زمن الحجاج ، لا بد وأن يكشفها آخرون بعد زوال الحجاج .

هذا بالإضافة الى أن شعر أمية احتوى على مفاهيم وأسماء لم يعرفها الشعراء الذين قالوا شعرا في عهد الاسلام ، الا من له اطلاع واسع على كتب وديانات الآخرين مثل أمية .ومن أمثلة الشعر هذا :

ملائكة لا يفترون عبادة -- كروبية منهم ركوع وسجد
فساجدهم لا يرفع الدهر -- رأسه يعظم رباً فوق ويمدَّد
وراكعهم يحنو له الدهر خاش -- عاً يردد آلاء الإله ويحمد
ومنهم مُلفٍّ في الجناحين رأسه -- يكاد لذكرى ربه يتفصّد
(شعراء النصرانية - ص ٢٢٧)

هذا الوصف للملائكة غير مستخدم في الشعر المكتوب بعد الإسلام؟ حيث أنه وصف يعتمد بشكل أساسي على ما جاء في التوراة حول الكروبيم - الملائكة - وهو ما لا نجده في شعر ما بعد الإسلام، ومما يذكر عن أمية أنه كان يرى في نفسه نبي العرب القادم حيث يقول: إني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا ... وكنت أتحدث بذلك (السيرة الحلبية- ٣٠١: ١)

من هنا فان أشعار أمية بما فيها من توحيد وقصص اعتمدها القرآن وأصبحت ركنا أساسيا داعما للعقيدة الإسلامية لم تكن مدسوسة ، بل جاءت من خلال احتكاك أمية بأصحاب الديانات الكتابية ومعرفته بالقراءة واللغات التي كانت كتبهم مكتوبة بها ، وكان يحاورهم ويستمع لهم ، وما ورد من قصص وأحكام دينية ، ما هي إلا تعبير عن ثقافة واسعة وإيمان غير محدود بالحنيفية السمحة .

والسؤال ، اذا كانت هذه الأشعار التي بها وصف للجنة والنار وعاد وثمود ومريم وسفينة نوح وذو القرنين والدعوة الى التوحيد والتمسك بأحسن الأعمال حتى تنال الجنة ، اذا كان كل هذا " دَ س " ، فماذا بقي من شعر أُمية ، فقد استمع النبي محمد من " شريد " الى مائة بيت دفعة واحدة من شعر أمية . ولم يرد ذكر إلا قصائد قليلة تعد بالأصابع خارج هذا السياق الشعري الديني لأمية .

وليس من المعقول أن يكون شعره في الغزل أو الفخر أو الهجاء إلا ما ندر ، وهو المعروف بتصوفه ودعوته الى دين جديد وأخلاق جديدة .وكل من عرفه قال ان به صفات النبوة ، وكان يعتقد أنه النبي المُتنبىء به . وكان النبي محمد يسأل عن أخبار أمية ، وكان يحب شعره ، فكان يشعر بالراحة لسماعه ويطلب المزيد ، وهذا ما حدث حينما قابل أخت أمية ، ولم يذم أو يرفض ما كان يسمعه ولم يجد تعارضا بينه وبين ما يعتقد به ، حيث وجد توافقا بينه وبين أمية في الحنيفية . وهذا ما جعل النبي محمد يقول " كاد ليسلم ".

فالنبي محمد كان يحب سماع أخبار الحنفاء ومن هم على ملة إبراهيم ، ويحاول الاحتكاك بأُناس مشهود لهم بالحكمة والمعرفة والاستماع منهم ما يخص الإيمان والتوحيد مثل زيد بن عمرو بن نفيل الذي كان ينعزل في حراء ، حيث قدم النبي له طعام ، فقال زيد : يا ابن أخي لا آكل مما يذبحون على النصب ، بينما كان محمد يأكل منه . وأيضا كان له احتكاك بورقة بن نوفل وجبر النصراني وبحيرا الراهب ، وكان يسأل عن الأنبياء في زمانه ، ويتقصى أخبارهم ، فعندما قدمت عليه بنت النبي " خالد بن سنان " ذو الكرامات الكثيرة ، فرش لها رداءه وسألها عن أحواله ، فقالت لقد توفي ، فقال النبي ان أباك " نبي ضيعه قومه " .

ولنرى موقف النبي حينما سمع هذا الشعر عن أمية .

عن ابن عباس أن النبي أُنشد قول أمية:

رجل وثور تحت رجل يمينه

والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال: صدق وهذه صفة حملة العرش) لبلوغ الأرب - البغدادي - دار الكتب العلمية بيروت - ج ٢ ص.

ومن الملاحظ أن النبي محمد لم يرفض ما قيل ، بل اعتمده ، ولم يقل أن أمية قد أخذ صفات حملة العرش منه .

ففكرة أن أمية أخذ من القرآن ما ورد في أشعاره من قصص عن نوح ولوط وإبراهيم وموسى وهارون وغيرها ، لا نجدها في أي من أهل الأخبار ، وإنما قيل بفكرة الدس بعد الموت . ومعنى هذا أن أمية لم يقل هذا ، وهذا تنقيص في حق الرجل ومكانته ، وتشكيك في إيمانه ، وإلا لماذا كان النبي يحب أن يستمع الى أشعاره ويؤيدها ولم يبد أي نقد لها ولا تعارض معها ، ولم يطرح النبي محمد فكرة أن أمية قد أخذ منه شيئا حينما كان يستمع لأشعاره .

وهنا يأتي السؤال : ما هي ديانة أمية في ذلك الحين ؟ أليس هو القائل :

" كل دين غير الحنيفية زور ".

ـ الرأي الثاني : أن القرآن على لسان النبي محمد كان ترديدا لما جاء في شعر أمية سواء في دعوته التوحيدية ، أو في ذكر الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها ويوم الحساب الذي فيه العقاب للعُصاه والثواب للمتقين ، ومن قصص وأحداث عن نوح ولوط ومريم وفرعون ... الخ ..

ففكرة أن النبي محمد أخذ من أمية ، ليست بالشيء الغريب ، لأن آراء الحنفاء متشابهة في المبتدأ والخبر ، وليس هناك تعارض بينها ، وليس بالشيء المستهجن أن يعارض أحدهم وأد البنات ، وشرب الخمر ،ويدعو للتوحيد ورفض التعددية الصنمية ، ونجد آخر يقف نفس الموقف ، فلن يسأل أحدا من القائل أولا ، أو من الذي دعا الى ذلك أولا ، فكلهم على ملة إبراهيم الحنيف ، وليس غريبا أن نجد في القرآن ترديدا لقصص عن الأقوام الغابرين سبق أن وردت في أشعار أمية . ولو سمع النبي أي قصة وكانت واردة في آية أو سورة ، لكان قال هذا ، وقال أن أمية قد قرأ قرآنه وكرر هذا شعرا .

ولكن هذا لم يحدث ، بل كان يثني على أمية وشعره ويطلب المزيد . فالاثنان لهما دعوة واحدة وهما أنبياء – كتب السيرة تذكر أن خالد بن سنان كان نبيا أيضا - عصرهما في دعوتهما الى التغيير ونشر الإيمان بالحنيفية السمحة ، وإزالة عبادة الأصنام التي نشرها عمر بن لحى .

ان رفض فكرة أن النبي محمد ردد في القرآن ما قاله أمية شعرا من قبل بعض الباحثين في السيرة ، ينطلق من رفض فكرة الشبيه ، أي وجود شبيه للنبي في القول أو الفعل ، وينطلق من التصور الخوارقي ، الإعجازي السحري الذي يخلق شيء من لا شيء، أي يُوجد شيء من العدم . فيظهرون الدعوة المحمدية وكأنها دعوة جديدة ، كل الجِدّة ، والتي جاءت بشيء خارق ، ولم تسبقها أية دعوة مماثلة لتغيير المجتمع المفكك الأوصال ، المتصارع ، المتوحش ، المليء بقطاع الطرق ،الذي تسود فيه العصبية القبلية ، الأسود في كل شيء . وهذا يعني إلباس الدعوة المحمدية الجديدة ، ثوب القداسة ، الشيء الخارق ، المعجزة الفريدة ، الغير مسبوقة والتي تخرج عن أن تكون من تخطيط ، أو إبداع له علاقة بالبشر، وهادف للتغيير .

ان هذا الموقف يكشف عن ازدواجية في موقف الباحثين المسلمين ، وكتبة السيرة ، فهم يقدمون شتى المبررات لتبيان أن القرآن لم يأخذ من أمية ، وقد وصلوا الى تكفير الرجل المعروف بالتصاقه بالحنيفية السمحة قولا وفعلا ، وتبحره في المعرفة والأشعار الصوفية ، في حين يقبلون اعتماد القرآن والعقيدة الإسلامية على آراء الحنفاء الآخرين ودعوتهم التوحيدية ومحاولة إرساء أخلاق جديدة ،ويقبلون تكرار ما ورد في الأسفار اليهودية من معاني وقصص لأقوام غابرين ، وقصة نشأة الكون الواردة في سفر التكوين ، وفوق كل هذا يقبلون أن يأخذ القرآن من الجاهليين مجمل الطقوس والمفاهيم الدينية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة قبل الاسلام .

****

ولكن ما الفرق بين النبي محمد وأمية ؟

ـ الفارق الأول : أن أمية يؤمن أن الدعوة الحنيفية هي دعوة إيمانية وتوحيدية سمحة ، لهذا عقد العزم على مقابلة النبي وتأييده في دعوته ،وقال أشعارا إيمانية ذات روح إسلامية كثيرة وهو يبطن هذه النية ، ولكنه فوجئ بأن النبي قتل أهل جلدته في بدر ، وهنا أصيب بصدمة أفقدته صوابه مما جعله يجذع أنف ناقته ويغير مساره ، ويتوجه الى الطائف .ورغم هذا لم يعلن تخليه عن الحنيفية ، بدليل قوله :

كل دين يوم القيامة إلا الحنيفية ، زور

فالحنيفية التي يؤمن بها ليست دعوة عنيفة و لا تقتل .ان الصدمة التي أصيب بها أمية كانت كبيرة ، فحنيفية إبراهيم السمحة التي يؤمن بها أمية لا تؤمن بالعنف ، وكانت صدمة لما وجده عند محمد من نكران للجميل ، فحينما كان في الطائف ، وكان في حالة يرثى لها ، والدم يسيل حتى قدميه ، تعاطف معه شيبة وعتبه وأمرا " عداس " مولى أبيهما عتيبة أن يقطف من عنب كرمهما ويقدمها له ، فماذا كان جزاؤهم ؟ كان القتل ، بعد أن قويت شوكة محمد . فلما عرف هذا أمية لم يستطع أن يصدق هذا . فقد وجد فرقا في طريقة الدعوة وليس في الإيمان ، فقد بقي مؤمنا بالحنيفية حتى موته .

ـ الفارق الثاني : أن أمية كان يعتقد أنه النبي التي بشرت به الديانات، وكان يقول ما يعتقد شعرا ، ولم يقل أن ما ذكره في أشعاره من قصص الأقوام الغابرين كانت بوحي أو رؤيا ، وكان يغلب على أشعاره الصوفية وذكر الآخرة . أما النبي محمد ، فكان لا يحفظ الشعر ، وإنما يتفكر في معانيه ويحب سماعه . ويعلن ما يعتقد به نثرا مسجوعا ، وأن هذه الأفكار هي من الوحي أو الرؤيا ، ثم ينقلها للكتبة ، الذين يطلق عليهم اسم كتبة الوحي .

انظر ماذا أخذ الاسلام من الجاهليين أيضا :

والعجب العجاب هو : لماذا يرفض متابعي السيرة فكرة أن القران أخذ عن أمية ، في حين يقبلون أن يأخذ القرآن مجمل مناسكه وقصصه من غيره من الحنفاء ومن الجاهليين مثلا، وهناك شواهد كثيرة منها :

ان الكثير من شعراء العرب في الجاهلية يعرفون الرب الواحد ، يشهد على ذلك ذكر التوحيد في أشعارهم التي وصلتنا وبعضهم ينبذ الأصنام ويعبد الرب الواحد وهذا يؤكد ان لديانة إبراهيم الخليل التوحيدية بقية في عقول وضمائر العرب وهذا فارس العرب الشهير وشاعرها المبرزل عنترة بن عمرو بن شداد العبسي «ت٢٢ ق. هـ» يقر ويعترف في قصيدته الرآطية بحتمية نفاذ امر الله في الموت فهو القادر على كل شيء ،نختطف لكم من قصيدة عنترة وهو يخاطب ابنة عمه وحبيبته عبلة يقول:

إذا كان امر الله أمرا مقدر فكيف يفر المرء منه ويحذر

ومن ذا يرد الموت أو يدفع القضا وضربته محتومة ليس تعبر

لقد هان عندي الدهر لما عرفته   واني بما تأتي الملمات اخبر

دعوني اجد السعي في طلب العلا   فادرك سؤلي أو اموت فأعذر

ولا تختشوا مما يقدر في غد   فما جاءنا من عالم الغيب مخبر

وكم من نذير قد اتانا محذرا   فكان رسولا في السرور يبشر

**هذا يعني الايمان بالقضاء والقدر ، ولا هروب منه ، وأن الله هو العلام الخبير ، وأن في التاريخ منذرين ومبشرين كثير ين . والقرآن في كثير من السور يؤكد هذه الأفكار وهي ركن أساسي في العقيدة الإسلامية .

جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير قد تكلم امرؤ القيس بالقرآن قبل أن ينزل. فقال:

إذا زلزلت الأرض زلزالها   وأخرجت الأرض أثقالها
تقوم الأنام علـى رسلهـــا   ليوم الحساب ترى حالها
يحـاسبهـا ملك عـــــــادل   فـإما عليـها وإما لــها

**أبو عروية في) كتاب (الأوائل) له (وابن عساكر) في تاريخه

*فيض القدير شرح الجامع الصغير الإمام عبد الرؤوف المناوي ١٦٢٤

*وأكدت الخنساء التي كان يستمع لها النبي. قالت الخنساء:

أبعد ابن عمرو من آل الشريدِ   حلت به الأرض أثقالها

مجمع البيان في تفسير القرآن للطبري (الرحمن ٣١-٤٥)

ولننظر ماذا جاء في سورة الزلزلة من مشابه لما ورد في الشعر ، وبصورة حرفية تقريبا :

إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا١ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ الإنسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا   (٥ –الزلزلة.)

وقال امرؤ القيس أيضا :

تلك السحاب إذا الرحمان أرسلها   روى بها من محول الأرض أيباسا
تلك الموازين والرحمان أنزلها   رب البرية بين النـاس مقياســا

وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧ - الرحمن.)

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧ - الأنبياء)
*** شعراء النصرانية قبل الإسلام للويس شيخو.**
*** قال زهير بن أبي سلمى:**

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

لله ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤) البقرة)
يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينتقم

(*)بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي باب زهير بن أبي سلمى. شعراء النصرانية للأب لويس شيخو باب زهير بن أبي سلمى.

وذكر أن محمد بن سلام أنشده لأعرابي
وما هذه الأيام إلا معارة ** فما استطعت من معروفها فتزود
فإنك لا تدري بأي بلدة ** تموت ولا ما يحدث الله في غد

وقد ورد في القرآن " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " و" لا تدري نفس ماذا تكسب غدا ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت " .

**** فلماذا يوافقون على أخذ القرآن من الجاهليين والأحناف ومن قصص التوراة ، ويستهجنون أخذ القرآن من أشعار أمية ؟**

ـــــ ومن الملاحظ أن كثيراً من العبادات والطقوس الدينية التي بقي يمارسها المسلمون بعد ظهور الدعوة المحمدية كانت موجودة ويمارسها الناس بدون وحي ، وكانت خالصة لله ، وأحيانا تمر عبر مسميات ووسائط مختلفة ، ولو سألت أحدهم ، من تدعو ؟ فسيكون الجواب : أدعو الله ، ولمن تذبح هذا القربان ؟ سيكون الجواب لله ، ولو سألته ، من الله ؟ سيكون الجواب : انه من خلق كل شيء ، وهو الذي بيده الحياة والموت . هذه هي الثقافة والأجوبة الموجودة قبل الدعوة ، قبل النبوة ، وقبل الوحي .
ويذكر أهل الأخبار أن الجاهليين جميعاً كانوا قبل عمرو بن لحي الخزاعيّ على دين ابراهيم. موحدين يعبدون الله جل جلاله وحده، لا يشركون به ولا ينتقصونه. فلما جاء عمرو بن لحيّ، أفسد العرب، ونشر بينهم أضاليل عبادة الأصنام، بما تعلمه من وثنيي بلاد الشام حين زارهم، وحل بينهم، فكان داعية الوثنية عند العرب

والمبشر بها ومضلهم الأول. وهو على رأيهم موزع الأصنام بين القبائل، ومقسمها عليهم. فكان من دعوته تلك عبادة الأوثان، إلى أن جاء الإسلام .

وبالمقابل لا يمكن تجاهل أن بعض القبائل العربية كانت تدين بالنصرانية واليهودية.وخاصة القبائل العربية في شمال الجزيرة المتاخمة للشام والعراق كانت قبل مجيء الإسلام بالنصرانية وقبل النصرانية كان بعضها يدين باليهودية، ونذكر من هذه القبائل التي كانت تدين بالنصرانية قبل الإسلام: قبيلة «بني كلب» و«بني شبيان» و«بني بكر بن وائل» و«بني لخم- المناذرة» و«بني تميم» وقبائل «دومة الجندل» وشيوخهم بني الأكيدر، وقبيلة «بني تغلب الوائلية»، التي منه الشاعر الأموي الأخطل الكبير غياث بن غوث التغلبي النصراني «ت ١٢٥هـ».

"ولم يكن تقديس العربي لهذه المظاهر الطبيعية وعبادته لها على أنها تمثل أربابا ، ولكن شعوره نحوها لم يكن يعدو الإجلال ، كما أن الأساطير التي نسجها حول النصب تدل صراحة على أنه لم يعبد الوثن معتقدا أنه خالق البشر أو الكائنات ، لأنه تارة يستقسم عنده ، وتارة يسبه ، ومرة ثالثة يأكله في وقت الشدة ". (الأساطير العربية ص ١٠٧) .

" عادات الطواف وتقصير الشعر – عند صنم الأُقيصر - كانت موجودة ، وكانوا يعرفون الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والطهارة ويتوجهون الى رب البيت بالدعاء ، ويستقبلون القبلة في صلاتهم ، وهناك متعصبون وزاهدون ، فكانوا يدعون الله في العراء دون سقف ، ولهم لبس خاص للطواف ". وكانوا يعرفون الاعتكاف في الأماكن المنعزلة وفي المغاور .
وقد تبنى الاسلام كل هذه الطقوس التي كانت في الجاهلية ، وأصبحت من المرتكزات الأساسية في العقيدة الإسلامية .
فعبد المطلب هو من سن في القتل مائة من الابل فأجرى الله ذلك في الإسلام ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن لهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الاسلام على لسان النبي . وهو من قال لأبرهة الأشرم الذي جاء بجيشه ليهدم الكعبة : " ان للبيت رب يحميه " .
لهذا لم تكن فكرة تقديس واحترام الكعبة جديدة ، بل كانت كذلك في زمن الجاهلية ، وكذلك تقديرهم للحجر الأسود الذي بقيت مكانته كما هي بعد الدعوة ، رغم أن من عقائد الاسلام الأساسية عدم تقديس الحجارة .

ومن الليل فتهجد به نافلة، عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً(. فخص العلماء التهجد بالتعبد ليلاً.
كما كانت عادة التهجد معروفة عند العرب قبل دعوة النبي محمد ، فيعبر عن التعبد ليلا بالتهجد ، وذُكر ان التهجد الصلاة ليلاً. وقد كان النبي يتهجد ويتعبد في غار في

حراء . والتهجد التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. والهجود النوم عند العرب. ويظهر ان تفسير التهجد بالتعبد ليلاً .

كما كانت فكرة التنسك ، والنسك :العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الآلهة. والنسّاك: المتعبدون. وقد كان الحنفاء من النساك أي المتعبدين. وعدوا الذبائح من النسك. وجعلوا النسيكة: الذبيحة .و،الذبائح، أي النسائك، هي من أهم مظاهر التعبد والزهد عند الجاهليين.
وممن نسب إلى النسك والرهبنة من الجاهليين "أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ابن مالك بن النعمان"، أحد "بني ضبيعة بن زيد". وكان في الجاهلية يسمى "الراهب"، لأنه كان مترهباً.

ان العرب في جاهليتها كانت تؤمن بالجزاء، وان منهم من نظر في الكتب وكِان مقراً بالجنة والنار..

****

على مر الأزمان، كان تقديس العرب في الجاهلية للبيت أمراً مرعياً، كما تدل على ذلك أشعارهم التي تحفل بالقسم بالبيت، وكما نرى في حادثة الفيل عندما هاجم «أبرهة الأشرم» الحبشي الكعبة ليهدمها إذ كان غرضه من ذلك هو منع تقديس العرب لها وإرغامهم على التوجه للبيت أو الكنيسة التي أقامها باليمن ليقصدها العرب في حجهم عوضاً عن الحج للكعبة المشرفة.
ويرى عدد من المؤرخين أن عبادة الأوثان أي الأحجار قد تسللت إلى بلاد العرب على خلفية قيام أهل الحرم من خزاعة وعدنان بحمل أثر من أحجار الكعبة أو الحرم أثناء تنقلهم من مكان إلى آخر لتذكرهم بعبادتهم على دين إبراهيم عليه السلام ومن تعظيم الأحجار باعتبارها رمزاً للكعبة إلى تقديسها لذاتها وهو ما شكل بداية تداعي قواعد الإيمان وما لبث أن قام عمرو بن لحى الخزاعي بحمل تماثيل من الشام إلى الكعبة فعظمها العرب على سبيل المحاكاة لما كانت تفعله بلاد الشام الأكثر رقياً في مدارج الحضارة.
كسوة الكعبة
ونستشف من تقديس العرب في الجاهلية للكعبة مقصد الحجاج من عنايتهم بكسوتها على مر الأزمان. وأول من كسا الكعبة حسب الإخباريين العرب كان «تبع أسعد» ملك حمير باليمن، وذلك حينما مر على مكة في عودته من غزوه ليثرب قبل الهجرة بقرنين ونيف إذ كساها بالبرد المقصبة وعمل لها مفتاحاً وفي ذلك قال: فكسونا الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لنا به إقليدا.

وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسون الكعبة بالجلد والقباطي، وهو نسيج مصري يزخرف نسجاً بالخيوط الملونة وبعد وقت أخذ الناس يقدمون لها هدايا من

الكساوي المختلفة فيلبسونها على بعضها، وكان إذا بلي منها ثوب وضع عليه ثوب آخر، فلما كان زمن قصي بن كلاب وتنظيماته للحرم وضع على القبائل رفادة لكسوتها سنوياً واستمر ذلك في بنيه.

ويقال إن أبا ربيعة بن المغيرة كان في ما قبل الإسلام يكسو الكعبة عاماً وقبائل قريش تكسوها عاماً فسمي بذلك «العدل» لأنه عادل قريشا بأسرها في كسوة الكعبة.
والكعبة لم تكن في مبتداها على هذه الصورة التي هي عليها الآن ، بل كان البيت حسب ما ذُكر عنه في كتب التراث ليس بالمربع ولا بالمستطيل ، ولكنه كان أقرب الى الشكل المنحرف أو الشكل مختلف الأضلاع إذ لا يوجد ضلع من أضلاع الكعبة الأصلية يساوى أي من الأضلاع الأخرى ، كما أنه لا يوجد ضلع يوازى الضلع المقابل. وكان مزينا برسومات متعددة منها رسم لصورة ابرهيم واسماعيل ومريم العذراء وابنها عيسى ، كما يذكر الحديث :
* حدثني جدي حدثنا داود بن عبد الرحمن اخبرني بعض الحجبة عن مسافع بن شيبة بن عثمان أن النبي صلعم قال يا شيبة امح كل صور فيه إلا ما تحت يدي قال فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه.
وقد هُدم وأُعيد بناؤه عدة مرات ،ويذكر صاحب" شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام "نقلاً عن المسعودي أن الحارث بن مضاض الأصغر عندما أعاد بناء الكعبة في عهد ولاية جرهم للبيت العتيق زاد في ارتفاعه عما كان عليه في بناء إبراهيم عليه السلام بأن جعل ارتفاعها ٢٥ ذراعاً (١٢ متراً) ، وسقفها بخشب الدوم وجريد النخيل . [1]و "كانت الكعبة مبنية برضم يابس وليس بمدر وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف وإنما تدلي الكسوة علي الجدر من خارج وتربط من أعلا الجدر من بطنها وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب يكون فيه ما يهدى إلي الكعبة من مال وحلية كهيئة الخزانة ...... ولم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة[1]" كما يذكر ابن حجر في" فتح الباري بشرح صحيح البخاري "أن الكعبة في الجاهلية كانت مبنية بالرضم وليس فيها مدر وكانت الماعز تدخلها ، وكانت كسوتها توضع عليها وتسدل سدلاً ، وكان لها ركنان .
ففي البداية لم يكن للبيت العتيق سقف ، وبعد جرهم بنته قريش بشكل آخر وسقف من الخشب ودعامات مختلفة العدد، وبعد قريش بناه الزبير بشكل مختلف عما سبقه ودعامات أقل ، وجعل له سقف من الخشب مسطح . ثم عدّله الحجاج سنة ٧٤ هجرية ، ثم أعاد بناءه السلطان العثماني مراد الرابع سنة ١٠٤٠هجرية .
وظلت الكعبة المشرفة علي تلك الهيئة حتى الآن ، مع ملاحظة أنه قد أجري لها الكثير من الترميمات والإصلاحات منذ بناها السلطان مراد خان إلي وقتنا هذا.
وكان للحج للبيت عند العرب مواعيده الثابتة في الشهر الذي عرف لديهم بذلك، وهو شهر ذي الحجة وتبدأ العرب الاستعداد له بالأسواق التي تسبقه

حكماً وفيها كان اجتماعهم للتجارة ولتذاكر الأخبار والتفاخر بالمآثر ومكارم الأخلاق وحميد الخصال والأفعال.

الأشهر الحرم

ولما كانت الأسواق تعقد تمهيداً للاجتماع في الحج، فقد تم اختيار شهر ذي القعدة لها، وهو أول الأشهر الحرم الثلاثة المتتابعة، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ولا يتبقى بعدها من الأشهر الحرم سوى رجب الذي يوصف بالفرد لابتعاده زمنياً عن الأشهر الثلاثة السابقة.

ويبدو واضحاً من اسمه أن العرب كانت «تقعد» فيه عن القتال ثم تشرع للتوجه إلى الحج بدءاً بالأسواق وأولها سوق «عكاظ»، وكان يعقد بين نخلة والطائف في أول ذي القعدة إلى العشرين منه، ثم ينتقلون إلى «مجنة» في الظهران، فيقيمون هناك إلى غاية ذي القعدة وأخيراً ينتقلون لآخر أسواقهم «ذو مجاز» خلف عرفة ويظهر أن السوق عرفت بتلك التسمية؛ لأن العرب كانت تقيم بها من أول ذي الحجة إلى الثامن منه ثم «يجتازون» إلى عرفة في اليوم التاسع، وهو يوم " التروية " .

وإذا كنا نعرف مواقيت الحج من خلال أشعار العرب وأخبارهم أيضاً، فإن تلك المصادر قد ضنت علينا بذكر الهيئة التي كان يفد بها الحجاج للبيت الحرام وإن كان واضحاً أن «الحاج» كان يتزين بزي مخصوص ليعرف الجميع أنه محرم بالحج فلا يتعرض له أحد، وهو ما نستشفه مما ذكره الجاحظ عن حج العرب في الجاهلية من أنه كانت لأهل الحرم سيما «إذا خرجوا إلى الحل في غير الأشهر الحرم، أن يتقلدوا القلائد ويعلقوا العلائق فإذا أوجب أحدهم الحج تزيا بزي الحاج.

أداء الشعائر

أما الكيفية التي كانت تؤدى بها شعائر الحج في الجاهلية، فثمة اعتقاد أنها ظلت كما كان يؤديها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن هزم أبرهة بالطير الأبابيل فشمخت قريش على العرب بعد أن ذاع بينهم أنهم أهل بيت الله وهو يدافع عنهم وعن الحرم فبدلوا بعضاً من الشعائر تعظيماً لأنفسهم وتمييزاً لأهل الحرم عمن سواهم من العرب.

أخيراً في باب المقارنة مثلاً شديد الإيحاء والدلالة، وهو دعاء الحج عند الجاهليين (وهو من سجع الكهّان)، والمسلمين لاحقاً:

«لا همّ... لا همّ...» لبّيك اللهمّ لبّيك

لبَّيك يا ولي النعم لبَّيك

لا شريك لك لبَّيك

إن كان خيراً فهو منك ولك

إنّ الحمد والنعمة لك والملك

تملكنا ولا نملك

لا شريك لك لبَّيك

«فلا قضض ولا رمد

تقبل وربَّة الأثر».

****

بعض ما جاء في القرآن من شعر أمية بن أبي الصلت :

إن معرفة مدلولات أشعار أمية والوقوف على آرائه ومعتقداته الدينية يتطلب منا الرجوع بالطبع إلى أشعاره ومقارناتها ومدلولاتها في المعنى والنص. ففي هذا التراث الذي تغلب عليه النزعة الدينية والحكمية، تتمثل آراء ذلك الشاعر الموحد الذي أدرك أوائل المبعث، وهي آراء تتشابه مع القرآن في النص والمدلول ، وبعضها يكاد يكون قولاً اسلامياً في لفظه وفي معناه مسبوكاً في شعر. وفي هذا الشعر قصص الرسل والأنبياء: آدم ونوح وقصة طوفانه، والغراب والحمامة، وقصة ذي القرنين وبلقيس وحكاية الهدهد، وقصة ابراهيم وتقديم ابنه للذبح ،وداوود، وفرعون، وموسى، وابن عاد .وعيسى وأمه مريم وكيفية حملها به، فوصف ذلك بانياً وصفه على نحو ما جاء في القرآن الكريم عن تكوّ ن عيسى، مضيفاً إلى ذلك حديث مريم مع الملائكة وجواب الملائكة لها. كما أورد في الشعر قصة "لوط اخي سدوم". وهي من القصص المذكورة في التوراة، وأشياء أخرى عديدة من هذا القبيل. وفي أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات دينية ووصف ليوم القيامة والجنة والنار، تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلاً لما ورد عنها في القرآن الكريم. بل نجد في شعر أمية استخداماً لألفاظ وتراكيب واردة في آيات القرآن وفي الحديث النبوي، فكيف وقع ذلك ؟ وكيف حدث هذا التشابه ؟ هل حدث ذلك على سبيل الاتفاق أو ان أُمية اخذ مادته من القرآن ، أو كان العكس، اي ان القرآن الكريم هو الذي أخذ من شعر أُمية فظهرت الأفكار والألفاظ التي استعملها امية في آيات القرآن وسوره ؟

فالقرآن اذن هو صدى وترديد لآراء ذلك الشاعر الموحد ، أو ان هذا التشابه مردّه شيء آخر هو تشابه الدعوتين واتفاقهما في العقيدة يرجع الى اعتماد الاثنين على مورد أقدم، هما الكتابان المقدسان: الأسفار اليهودية – المجموعة

في التوراة - والأناجيل، وما لهما من شروح وتفاسير، أو كتب أو موارد عربية قديمة كانت معروفة ثم بادت وبقي أثرها في القرآن وفي شعر أمية بن ابي الصلت.

هناك من يشكك في التشابه بالقول أنه يجب إثبات ان ما أنشده أميه لم يكن قد نزل في مثله الوحي.

ان أميه لم يقل أن هذه المعرفة جاءته بوحي كما قال النبي محمد ، بل كان الكثير منه معروفا ومكتوبا في الكتب التوحيدية السابقة ، ولم تختلف عنها الا في شكل النص وطريقة السرد .
وممن ذهب إلى افتراض أخذ الرسول من أمية من المستشرقين "كلمان هوار" و "بور Power "زعم "بور" انه حيث يوجد تشابه بين شعر أمية والقرآن الكريم، فإن ذلك يدل على ان النبي أخذ من "أمية"، لأن أمية أقدم من النبي.

وممن قال أيضا باحتمال أخذ القرآن وأمية من مورد مشترك واحد، "فردرش شولثيس Friedrich Schulthetz "ناشر ديوان أمية. وقد استند في رأيه القائل باقتباس الرسول من مورد مشترك إلى ورود بعض كلمات في القرآن الكريم وفي الحديث وفي كتب السير ، لكنه لم يشترط في هذه المؤلفات كونها الإنجيل و التوراة، بل ذهب الى انها "مجلة" و "صحيفة"، تتضمن أحاديث وتفاسير وقصصاً دينية قديمة.

ان مردّ هذا التشابه والاتفاق إلى الصنعة والافتعال أن أميه على العكس من معظم الحنفاء قبل الإسلام نجده يتمتع بصيت واسع دونهم، والبعض قالوا أن لديه معرفة للغة الطيور والحيوانات (السيرة النبوية - ابن كثير - ١٣:١)
كان أمية شاعراً،، والشاعر له قدرة على الإبداع من معطيات بسيطة ، وقد كان ثائراً على قومه، مائلا عنهم ، ناقماً عليهم، لتعبدهم للأوثان. وقد كان يدين بالتوحيد ولديه معرفة باليهودية والنصرانية، وقد كان واقفاً على الكثير من التفاصيل الدينية الكثيرة وظهرت في شعره عن العرش والكرسي وعن الله وملائكته وعن القيامة والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب والتنبؤ بمجيء نبي لهذه الأمة . ونحو ذلك. فالتنبؤ بظهور نبي هي فكرة سائدة ليس عند أصحاب الديانات الكتابية أو الموحدين ، بل عند كل شعوب الأرض تجد عنها الأمل في ظهور شخص ، تحت مسميات مختلفة ، " النبي " ، " البشارة " أو " المهدي المنتظر" ، " المشيح " ، " المنقذ " له قدرات خارقة ، غيبية ، وله شرائع جديدة هادفة لتنظيم حياة الناس .

ونرى البعض يقول أن أمية لم يفصل بعض القصص والروايات كما فصلها القرآن . فنقول أن الشعر لا يستطيع أن يشرح أي قصة بالتفصيل إلا ما ندر ، فالشعر يقيد صاحبه ، بينما النثر يسمح بذلك .
وقد يقول آخر أن اسلوب أمية في السرد هو إسلوب بعيد عن الجاهليين ويقترب

من شعر الفقهاء والصوفيين ونساك النصارى ، ومظهرا بشكل نقي فكرة التوحيد وداعيا لها . وهذا يعود الى سعة المعرفة والثقافة التي كان يعرفها أمية بالمقارنة مع غيره من الحنفاء أو شعراء العرب .

ان المطلع على شعر أمية لا بد وأن يبهره شدة التشابه بينه وبين القرآن وهذه أمثلة حية تثبت ذلك :

لك الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربَّنا   فلا شئ أعلى منك مجداً وأمجدُ
مليك على عرش السماء مهيمن   لعزته تعنو الوجوه وتسجد
عليه حجاب النورِ والنورُ حولَه   وأنهار نورٍ حولَه تتوقد
فلا بصرٌ يسمو إليه بطرْفه   ودونَ حجابٍ النورِ خَلْقٌ مؤَيَّد
ملائكة أقدامهم تحت عرشه   بكفَّيْهِ لولا اللهُ كلُّوا وأبْلَدوا
فسبحان من لا يعرف الخلقِ قدره   ومن هو فوق العرش فردٌ موحد
هو الله باري الخلق والخلقُ كلُّهم   إماء له طوعا جميعا واعبدوا
ونفنى ولا يبقى سوى الواحدِ الذي   يميت ويحيي دائبا ليس يَهْمُد
ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا   وسبحه الأشجار والوحش أُبَّدُ
فكن خائفا للموت والبعثِ بعده   ولا تك ممن غره اليوم أو غد

ان هذه القصيدة مشحونة بعقيدة التوحيد ، ففيها " الحمد والنعماء " كما في بداية التشهد " التحيات لله والصلوات والطيبات " ،وفيه الكثير من أسماء الله الحسنى " الملك ، الرب ،المهيمن ، النور ، الله ،الفرد ، الواحد ،البارئ ، المميت ، المحيي. وهو محجوب لا تراه الأبصار .
وفيها عرش الله ، والتسبيح من رعد وشجر ووحش وبشر ،كذلك في ذكره السجود أي الصلاة ، والموت والبعث ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور. كل هذه المفاهيم جزء أساسي من العقيدة الإسلامية .

ثم خذ قصيدته في عيسى بن مريم وحمل أمه به، وسائر قصائده الأخرى، تجد كم كان هناك توافقا بين ما جاء في القرآن وما جاء فيها من معاني وألفاظ . (راجع شعر أمية – نفس الكتاب) .

*قال أبن كثير في البداية والنهاية ، قال أمية أبن أبي الصلت:

أم من تلظى عليه واقدة النار   محيط بهم سرادقها

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا . (الكهف 29 -) .

أم اسكن الجنـة التي وعد   الأبرار مصفوفة نمارقهـا

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ   (الغاشية - ٥١)

لا يستوي المـنزلان ثم ولا   الأعمال لا تستوي طرائقها
هما فـريقان فـرقة تدخـل   الجنـة حفت بهـم حدائقها
وفـرقة منهـم قـد أدخلت   النـار فساءتهـم مرافقهـا
وصـدها للشقاء عـن طلب   الجنـة دنيـا الله ماحقهـا
عبـد دعـا نفسه فعـاتبهـا   يعلـم أن البصـير رامقها
ما رغب النفس في الحياة وان تحيى قليلاً فالمـوت لاحقها
يوشـك من فـر من منيتـه   يـوماً على غـرة يـوافقها
إن لم تمت غبطة تمت هرمـا   للمـوت كاس والمرء ذائقها

ماذا نستنتج من هذه القصيدة ؟ نستنتج مبادئ إسلامية كثيرة تبناها الإسلام بعد ذلك ، مثل : الحياة الدنيا تختلف عن الحياة بعد الموت ، وأن هنـاك أُناس مصيرهم الجنة وغيرهم مصيرهم النـار ، وكل نفس ذائقة الموت مهما كانت رغبتها في الحياة .

(*)البداية والنهاية لأبن كثير الجزء الثاني باب أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي.

*قال أمية بن أبي الصلت:

ظلال بين أعناب ونـخل وبنيان من الفردوس عالي

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ ٥٦(يس) (المرسلات٤١) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩(المؤمنون) ، (يس٣٤).

لهم ما يشتهون وما تمنـوا من اللـذات فيها والجمـال
ومن إستبرق يكسـون فيها عطايا جمة من ذي المعالي
ومن خدم بها يسقون منها كدر خـالص الألـوان غالي
وأشربة من العسل المصفى ومن لبن ومن ماء السجال
وكاس لذة لا غـول فيها من الخمر المشعشعة الحـلال

ـ ويضيف (د. جواد علي: المفصل ص ٤٢١) "جاء في شعر أمية بن أبي الصلت أن الله يبعث الناس ويحاسبهم ويجازيهم، فالمجرمون في النار خالدين فيها أبدا، والمتقون بدار صدق ناعمون، لهم ما يشتهون، فيها عسل ولبن

وخمر وماء بارد عذب سليم، ورطب وتفاح ورمان، وفيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ للأعين، وحور نواعم في الأرائك قاصرات، على سرر ترى متقابلات، وكأس لا تصدع شاربيها، لا لغو فيها ولا تأثيم".

- ويورد (د. جواد علي: المفصل ص ٤٢٩) الأبيات التي تذكر ذلك:

فذا عسل وذا لبن وخمرُ وقمح في منابته صريمُ
وتفاح ورمان وموز وماء بارد عذب سليم
وفيها لحم سامرة وبحر وما فاهوا به، لهم مقيم
وحور لا يرين الشمس فيها على صور الدمى فيها سهوم
نواعم في الأرائك قاصرات فهن عقائل وهُمُ قروم
وكأس لا تصدع شاربيها يلذ بحسن رؤيتها النديم

*قال أمية أبن أبي الصلت:

وأعطى كل إنسان كتابًا مبينا باليمين وبالشمال

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ١٣ إِقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤(الإسراء)

ليقرا ما تقارف ثم يكفا حسابًا نفسه قبل السؤال

وقام القسط بالميزان عدلا كما بان الخصيم من الجدال

فلا إنسان بين الناس يرجى ولا رحم تمت إلى وصال

حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ٤٨ (المدثر)
سوى التقوى ولا موت يرجى سوى الرب الرحيم من الموالي

ونستطيع أن نتلمس شعائر الحج أيام الجاهلية من القصيدة التي نسبت لأبي طالب عم النبي ، وهي قصيدة لامية طويلة يصل عدد أبياتها إلى واحد وثمانين بيتاً ومن ألصقها بشعائر الحج:

وثور ومن أرسى ثبيرا، مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل

وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وأشواط بن المروتين إلى الصف وما فيهما من صورة وتماثل

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل

والحقيقة أن قسماً معتبراً من البلاغة التي توصف بها تلك القصيدة إنما يعود إلى نجاح قائلها في إيجاز مشاعر الحج على ترتيبها وقيامه بذكر المعالم والأماكن ذات الصلة كافة بشعائر الحج وطقوسه عند العرب فيما قبل الإسلام وهي لا تختلف كثيراً عما نعرفه من شعائر الحج في الإسلام. فيقسم أبوطالب بمواضع جبال كان يؤمها الحجيج وهي «ثور» و«ثبير» عند قدومهم للحج ثم يشير للكعبة أو البيت ببطن مكة، وهو مقصد الحجاج لطواف القدوم به وقتما وصلوا في الضحى أو وقت الغروب «الأصيل» وذلك أمر منطقي في ظل افتقاد وسائل الإضاءة الغامرة التي نعرفها اليوم.

ما هو الفرق بين الحنيفية والإسلام ؟

ان المتتبع والمتفحص لسيرة الحنفاء يستطيع أن يدرك أنهم جماعة أو أفراد حملوا راية التوحيد ودعوا لأخلاق جديدة ، ومن أول عقائدهم رفض تشخيص الرب ، الله ، المعبود . وتقديس الكعبة وجعلها قبلتهم ، قبل أن يتخذ منها المسلمون قبلة لهم ، حيث تغيرت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة في السنة الثانية للهجرة .

من هنا كانوا مسلمون قبل الاسلام ، بل مسلمون بلا وحي ، فقد كانوا بشكل أو بآخر على الاسلام ، ولم يقل أي منهم أن معتقده هذا جاء اليه من وحي أو رؤيا . ولما جاء الإسلام لم يرفض ما قاله الحنفاء ، ولم يرفض أخلاقهم وكثير منهم قال عنهم النبي محمد ، لو أدركوا دعوته لأسلموا . وكثير منهم أدركها وأسلم .

فالإسلام جمع كل ما قاله الحنفاء في نظام اعتقادي واحد مضيفا له كلمة مسلم ، بقوله أن ابراهيم حنيفا مسلما ، كما ورد في الآية : " مَا كَانَ *إِبْرَاهِيمُ* يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ *حَنِيفًا مُسْلِمًا*] سورة آل عمران: ٦٧.)

ما هو الفرق بين النبي محمد والحنفاء ؟

من خلال متابعة سيرة الحنفاء بما فيهم النبي محمد نجد أنهم موحدون لله ، وتابعين لملة ابراهيم، ومتمردون ومرتدون عن دين قومهم ،عن عبادة الأصنام ، وهم مصلحون دعوا الى أخلاق جديدة على المستوى الفردي والاجتماعي .إلا أن النبي محمد اختلف عن الحنفاء في ثلاثة أمور وهي :

١- الأمر الأول : ان الحنفاء على اختلاف انتماءهم القبلي وتباعد الجغرافيا ووجودهم الزماني لم يقل أي منهم أن ايمانه بالحنيفية والتوحيد والتزامه

بهذه الأخلاق – لم يقل- أنها جاءته عن طريق وحي أو رؤيا ، بينما نجد النبي محمد يقول بأن هناك صلة ما بينه وبين السماء ، تتم عن طريق الوحي المتجسد ، أو الرؤيا ، أو الإعلام السريع الخفي بما يشبه الإيحاء عن بُعد .

٢ - الأمر الثاني : ان الحنفاء على اختلاف انتماءهم القبلي وتباعد الجغرافيا ووجودهم الزماني كانوا على ملة ابراهيم السمحة ، الهادئة ،بينما نرى النبي محمد يعترف بذلك في بداية دعوته ، الا أنه بعد ازدياد عدد أتباعه ، لجأ الى العنف في نشر دعوته ، وظهر هذا تحت مسميات الدعوة للاسلام والجهاد والغزو ، أي نشر العقيدة الاسلامية بحد السيف .فقاتل قبيلته وقتل منهم وقطع طريق التجارة عليهم .وهذا ما جعل أمية بن أبي الصلت يتراجع عن التقاء النبي محمد في آخر لحظة ، رغم أنه كان عاقد العزم على لقاءه وتأييده .ولكن لما رآه وقد انتهج اسلوب العنف والقتل في دعوته غضب غضبا شديدا مما جعله يجذع أنف ناقته ويغير طريقه الى الطائف .

فدعوة محمد انتشرت في شبه جزيرة العرب بالقوة وليس بالإقناع وفي هذا يقول حسان ابن ثابت شعرا :

دعى المصطفى بمكة دهرا لم يُجب — وقد لان منه جانبا وخطاب
فلما دعى والسيف صلت بكفه — له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وهذا ما يفسر ظهور حركات ارتدادية بعد وفاة النبي .

٣ - الأمر الثالث : الاختلاف في التسمية ، فالحنفاء على اختلاف ظهورهم الزماني ، كانوا موحدين وعلى ملة ابراهيم ، والتي تميزهم عن الأديان الأخرى . الا أن النبي محمد في دعوته أضاف الاسلام لحنيفية إبراهيم ، كما ورد في الآية : " ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما " . وفي نفس الوقت نفى هذه التسميه عن ابراهيم ، ليقول : وأمرت وأنا أول المسلمين" ، وفي هذا عودة الى التخصص في التسمية ، بأن يكون هو أول المسلمين ، ثم من اتبعه من بعده . وهنا يقع المتبصر في مشكلة ، ماذا تعني الحنيفية وماذا يعني الإسلام . ومن الأشمل ، وهل هناك أسبقية ، وهل هناك ترجيحية ؟ أي أن تكون مسلما ، أو تكون حنيفيا ، أم هما الإثنان واحد ؟

أما اذا كان النبي يعني بأول المسلمين ، أنه المسلم الأول في هذا الزمان !!! ، بينما ابراهيم كان حنيفا ومسلما في زمانه . فلا مشكلة ، وبهذا الطرح يكون الحنفاء الذين اتبعوا ملة ابراهيم مسلمون قبل الإسلام ، بل مسلمون بلا وحي .

****

الوحي في الأديان الكتابية

في ميثولوجيا الشّعوب، هناك الكثير من الأفكار والقصص يجري التّسليم بها بوصفها جزء من المنظومة الفكريّة المقدّسة الموروثة عن الأجداد. ولأنّها جزء من الموروث المقدّس، فإنّها تصبح من المسلّمات التي لا يجب أن يفكّر فيها الشّخص بعقلانيّة، أو مجرّد التّساؤل عن عقلانيّتها. لهذا تُطرح جانبا خارج نطاق التّساؤل، والفلسفة وتاريخ دخولها للموروث المقدّس. ومن هذه المفاهيم التي ينطبق عليها هذا الفهم، فكرة " الوحي " في الأديان الكتابيّة.

إن التّفكير في مسألة الوحي تضع الانسان في حالة تساؤل، كيف؟ ولماذا؟ وكيف يمكن التّكرار؟

ولا بدّ من النّظر إليها، ليس بالمنظور الميثولجي الذي يتطلّب منّا الحفظ فقط ، والتّسليم دون تساؤل، بل وعدم التّفكير، لماذا وكيف. بل يجب النّظر إلى هذه المسألة بالمنظور العقلي، الذي يرمي إلى إيجاد سبب معقول للحدث، وسبب معقول للنتيجة، وسبب معقول لإمكانيّة التّكرار. فمفهوم " وحي " يتطلّب وجود ثلاثة : المُرسِل "الله "، والمُرسَل إليه " نبي "، " انسان "، والواسطة " وحي، ملاك مُشخص " يتكلّم، يقول، ينقل، رسالة من المصدر الإلهي إلى التّابع " النبي، ويكون المُتلقي في حالة عقليّة جاهزة جسديّا ونفسيّا لتلقي الرّسالة. فإذا وُجدت هذه العناصر الثلاثة وتكاملت، كانت النتيجة طبيعية، أما اذا حدث نقص، أو عدم تكامل أحد العناصر الثلاثة، فإن النتيجة لن تكتمل، ولن تصل الرسالة، أما إذا قرأنا قولا أن الرسالة وصلت، فقط، ودون كشف كيف وصلت ؟ أو أن الرسالة وصلت مرة في النوم عن طريق رؤيا أو حلم، ومرة يوصف فيها الواسطة على شكل خيال يهتز وينتقل هنا وهناك، أو شيء أبيض يقف في صحن البيت، أو صوت صادر من صخرة، أو نداء عن بُعد دون معرفة المصدر، أو على شكل طائر أو على شكل انسان له أجنحة، أو على شكل إنسان له نور يبهر العيون بحيث لا ترى حدوده الشكلية، أو تكون الواسطة هالة نورانية، مثل وميض يقترب، ثم يبتعد، ويترك المتلقي، المُستقبل، في حالة اندهاش وخوف. فمعنى هذا أننا دخلنا في الخيال والأسطورية والميثولوجيا واللامعقولية. وهنا يقف الانسان حائرا في تصديق هذا من عدمه .

لماذا يقع الانسان في حيرة في مثل هذه الأحداث ؟

لأنّك لو سألت المُتلقي، أو المُستقبل أن يصف لك ما حدث معه وما شاهده، فانّه سيقدّم لك وصفا خياليّا، وبعد مدّة لو طرحت عليه نفس السّؤال، سيكون الجواب مختلفا، ولو كان السّائل فلاحا ولا يعرف القراءة، ومن طبعه التّسليم والتوكُل، فبمجرّد سماع الحدث، سينكب على المُستقبل، المتلقي، ويقبل يديه ورأسه، ربّما ناله من البركات شيئ، وسيعتبره من أولياء الرب الصالحين، ومن المقربين إلى الرّوح القدس. ويصبح وليّ أمره وموطئ مشورته، وكاتم أسراره.

أمّا إذا كان السّائل يحمل بعض الأفكار العلميّة، ولديه فكرة عن أسباب الأحداث ونتائجها الواقعية، فسيكون له موقف آخر، أي سيفشل هذا المُستقبل في إقناعه بأن هناك تواصلا ما بينه وبين الله، الرب، الروح القدس، خصوصا إذا سمع وصفا للوحي بأشكال مختلفة. ونجد هذا الاضطراب عند الكثير من الأشخاص الذين يدّعون التواصل مع الغيب، وأنهم أولياء الله في الأرض. بالإضافة إلى هذا، فإنه تنسج الحكايات الأقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع، وترتدي ثوب الميراث المقدس.

ولا بد من السّؤال : من أين جاءنا مفهوم " الوحي " ؟

ورد في التّوراة على لسان الربّ يقول لهارون ومريم اللذان يرغبان أن يكلمهما الربّ كما يكلّم موسى، (فقال اسمعا كلامي، إن كان منكما نبيّ للربّ فبالرّؤيا أستعلن له، في الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى، فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي، فما إلى فم، وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين). (سفر العدد _ الإصحاح الثاني عشر – ٦،٧، ٨). وورد أيضا : " اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها، .... فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب إلهكم يمتحنكم ....وذلك النبي أو الحالم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم " (التثنية – الإصحاح الثاني عشر ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) .

وورد في الانجيل على لسان المسيح : " أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) (انجيل (يوحنا ٨ :٤٥)

وورد أيضا : " ثم إذ أُوحي اليهم في حُلم أن لا يرجعوا الى هيرودس، انصرفوا في طريق أخرى الى كورتهم " (انجيل متى – الإصحاح الثاني ١٢) .

ـــــ يقول بولس الرسول في غلاطية (١: ١١) : أريدكم أن تعرفوا أنّ البشارة التي بشّرتكم بها ليست من مصدر بشري. فأنا لم أخذها من انسان. ويقول بطرس في رسالته الثانية (١: ٢١): لأنه لم تعطَ نبوّة قطّ بمشيئة انسان، بل انقاد رجال الله بالرّوح القدس فنطقوا بكلام الله.

وورد في القرآن الكريم في سورة النجم " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) .

وورد أيضا في سورة القصص : وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه. (آية ٧) .

وقال رسول الله صلعم : " ان روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ... " ، وهنا كيف يكون النفث في الروع ؟ أيكون على هيئة وشوشة، أم صوت من بعيد، أم خاطرة عقلية ؟

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى " الرؤيا " الصادقة في النوم .

هذه هي الرّوايات والأقوال والآيات التي عرفنا منها مفهوم الوحي في الأديان الكتابيّة. فما هو العامل المشترك بين هذه الأقوال والآيات ؟

اذا كان الوحي في اللغة هو الاعلام السّريع الخفي

أو الوحي بوصفه رؤيا، أو حلم.

أو الوحي بوصفه تخاطر بين شخصين.

أو الوحي بوصفه حالة إبداع ذاتي عقلي، أي الانطلاق من الذات المبدعة الى المجهول. أو الوحي بوصفه مصدرا للمعرفة الروحية الصوفية .

أو أن الوحي هو حركة عموديّة من السّماء – مسكن الآلهة، الغيب، المجهول – الى الأرض – مسكن البشر – هو حلقة الوصل بين عالم الأرض وعالم السماء، – الفضاء اللانهائي. أو بالعكس .

فما هو الفرق بين الوحي وبين الرؤيا ؟

وهل الرّؤيا شكل من أشكال الوحي، حيث يقول عبيد بن عمر بأن رؤيا الأنبياء وحي .

واضح أنّ الوحي في التّوراة والإنجيل لا يعني غير الرّؤيا أو الحلم، وأنّ تواصل الرب مع بني البشر، مع ساكني الأرض يجري عن طريق الأحلام. أمّا موسى – فحسب التوراة أن الربّ كان يكلمه وجها لوجه. وفما بفم، أي مباشرة وبلا حلقة وصل أو حجاب، أي أن الرب يتشخص ويظهر على هيئة ضوء، أو شخص يتكلّم أو شيء يصدر عنه صوت مسموع .

أمّا في الاعتقاد الإسلامي فالوحي اتّخذ أشكالا مختلفة، فمرّة يصفه النبي بأنه رأى جبريل على كرسي بين السماء والأرض فسد الأفق، ومرة يأتيه ملاك يضمه بقوّة ضاق لها صدره وصعب عليه تنفسه، وأخرى يأتيه وهو نائما، أو يأتيه وهو ماشيا.

وكما جاء في صحيح البخاري : عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلعم- بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا في السماء فرفعت بصري فاذا الملك

الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت، فقلت : زملوني.

وورد على لسان النبيّ أنّه حينما سأله ورقة بن نوفل قائلا : يا محمّد، كيف يأتيك الذي يأتيك (يقصد الوحي) ؟ =

= قال : يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر.

وهذا يعني أن الوحي يظهر عيانا ومُشخصا وذات ألوان .

وأنّ الوحي حينما أتي النبيّ أصابه الرّعب والفزع وحتى بعد أن تعود عليه كان يتصبب عرقه ويتغير لون وجهه فيميل الى الاحمرار المختلط بالسواد، ويغط ويتسارع تنفسه ويتربد وجهه ويعبس .فهنا لا بد من التساؤل : ما معنى الوحي ؟ وهل الوحي ممكن أن يتشخص، أي يظهر بشكل مادي منظور ؟ وهل الوحي ممكن يتحول من شيء لا مادي الى مادي منظور، وبالعكس، أي ممكن يتحول الواسطة، الوحي، من شيء مادي منظور، يُرى ويُسمع صوته الى شيء لا مادي يجلس على كرسي، ثم يزول دون أثر ؟ وضمن هذا الفهم يتم إلغاء قانون بقاء المادة، وقانون بقاء الطاقة، اذا كان كذلك، فلماذا لا يراه غير النبي ؟ وما هي أشكال الإيحاء، حيث ورد في آ ية " وأوحينا الى أمّ موسى " (القصص – ٧) ، ما هو الفرق بين الإيحاء الى أم موسى، والإيحاء الى النبيّ محمّد ؟ كيف كان الوحي في سورة " العلق " ، وكيف كان في سورة " التوبة ". والسّؤال : هل الوحي مقترن بالنبوّة ؟ فالنبوّة من التنبؤ، أي إعلان المخفيّ عن النّاس، والإتيان بحلول وكرامات وتفسيرات للمشاكل الحادثة في زمن معيّن.

مع اعتبار ان " الوحي إعلام سريع خفي "، هذا يعني أن الإيحاء لا يستلزم التجسد والتشخص، بل تخاطر عقلي. واذا كان الوحي لا يتجسد، في شخص يتكلم ويصدر عنه صوتا مسموعا وبلغة مفهومة، بل بطريقة تخاطرية، على هذا تكون كل القصص والروايات التي كتبها كُتاب السيرة والتي تقول بتجسد وتشخص الوحي للنبي في غار حراء تتطلب المراجعة. والخطورة من هذا الفهم، أنه يجري اعتماد مثل هذا، وإدخاله ضمن المناهج الدراسية، وما تتركه من أثر على عقول الناشئة، ومدى فعاليتهم في البناء والتجديد والتطوير .

ومن جهة أخرى، انظر ما هو شكل الإيحاء في رواية أبي هريرة عن النبيّ اذ قال : " بينما أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي وأهماني، فأُوحي إلي أن انفخهما فنفختهما، فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة ".بهذا النصّ يخرج الوحي عن التّشخيص المادي المنظور،

وهل الوحي يأتي في النوم أم في الصّحو ؟ وما هو الفرق بين الوحي في هذه الحالة وبين الرّؤيا أو الحلم ؟ وما هو الوحي في النّوم، إن لم يكن حلما ؟ وما هي

الأحلام غير نشاط الدّماغ أثناء النّوم في كل الاتجاهات الواقعيّة والخياليّة، والتي لا يمكن اعتمادها كمصدر يقيني للحقيقة ؟

وهل يكون الوحي عن طريق روح القدس الذي يقوم بإيصال المعلومة، أو الرّسالة عن طريق إدخالها في وعي المُرسل إليه ؟ وهنا كيف يكون النّفث في الروع ؟ أيكون على هيئة وشوشة، أم صوت من بعيد، أم خاطرة عقليّة ؟

ماذا قالوا عن الوحي ؟

قال "عالم الدّين" العراقي أحمد القبانجي، إنّ ما يقال أنّ الوحي هو نور الهي يغمر قلب الرسول، هو مجرد تعبير قد لا يخلو من غموض، عمّا يسمّيه الفارابي وابن سينا وصدر الدين الشيرازي وابن عربي وسبينوزا بالقوّة التخييلية للأنبياء والرّسل.

أي أنّ فرضيّة أن الوحي تخيّل يعكس المبتدأ والخبر، أي بدلا من أن يكون الوحي ساقطا من السّماء – الفضاء – على الأرض بما يحمله من أخبار وأوامر، تنقلب الآية ليصبح الانسان هو المبتدأ الذي ينطلق بخياله إلى السّماء الغيب. ومنهم من أطلق على الوحي بأنّه ضرب من الخيال الصّوفي، ومثل ذلك عناه محمد إقبال في وصفه للنبوّة بـ " أنّها ضرب من الوعي الصّوفي"[١] (محمد إقبال، تجديد الفكر الدّيني في الإسلام، ترجمة عبّاس محمود، دار الهدايه للطباعة والنّشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦، ص : ١٤٨)

كما أنّ هناك تخيلات قوية ينتج عنها آيات محكمات، وتخيلات ضعيفة ينتج عنها آيات ضعيفة ومتشابهة، كما ورد في الآية : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرُ متشابهات) آل عمران، ٧. والآية (ما ننسخ من آية أو نُنسِها نأت بخير منها أو مثلها) البقرة- ١٠٦. وهناك آيات أكثر وضوحا من آيات أخرى، بحسب ما تؤكّده الآية (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم) الزمر- ٥٥. كما إنّ هناك آيات تدخل بها الشيطان، ممّا أخلف المعنى المطلوب، وهذا ما حدث عندما قرأ النبي سورة والنجم إذا هوى(فقرأها حتى بلغ أفرأيتم اللاّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشّيطان على لسانه *تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى*. فلمّا سمعت قريش فرحوا، ومضى النبيّ في قراءته فقرأ السّورة كلّها، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون، وتفرَّقت قريش وقد سرَّهم ما سمعوه، وقالوا :"قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذِّكر". ولم ينتبه النبي لذلك الا بعد حين، أي بعدما جاءه الوحي بالآية : (ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فنسخ الله ما يلقي الشيطان) الحج، ٥٢)

أخيرا، هل يخرج الوحي عن مستوى الزّمن والمفاهيم وأسلوب الحياة الموجود في حاضر أي نبي من الذين ورد ذكرهم في التاريخ ؟ فلم يأت أي وحي بذكر طريقة الحياة، ودرجة العمران البشري، والقدرة التدميريّة للأسلحة في هذا الزمن، والحروب الاقتصادية، أو ذكر أمراض هذا الزمن، أو ذكر أنظمة حكم برلمانية

حديثة. فهذا لم يحدث، لماذا ؟ لأن لكل نبي زمانه، ولكل وحي زمانه. فمثلا حينما مرضت زوجته خديجة، أخذ النبي يطمئنها قائلا : ان بيتك في الجنة كوخ من لؤلؤ مُجتبى "، وفي رواية أُخرى : " بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب ".

ماذا يعني هذا ؟ أنّ أقصى درجات الأماني في ذلك الزّمن، هو أن ينال المرء كوخا من لؤلؤ، أو كوخا من قصب. ولو كان النبيّ في هذا الزّمن، لما كانت أُمنيته لأحبّ النّاس إلى قلبه، كوخا من قصب، أو لؤلؤ، بل لقال : فيلا بين نهرين، أو بيتا فاخرا فوق سفينة عائمة، أو فيلا خاصّة فوق جزيرة .

من هنا كان التفكير في أي زمن يتناسب مع مستوى حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية. فالوحي، لا بد وأن يتناسب مع مستوى تفكير الناس في عصرهم .

" إن الوحي مجموعة من الصور والعلامات والأصوات الغامضة والمتناثرة والفائضة عن الغيب، والتي قد تفلح مخيلة الرسول في التقاط بعضها، بعد جهد ذاتي جهيد وإصرار عنيد، قبل أن تحاول ترجمتها إلى لغة بشرية وهذا داخل سياق ثقافي وتاريخي مستنفر أصلا نحو أفق انتظار النبوة .

وإن كانت مدارج البيان تتفاوت تبعاً لتفاوت قوّة المخيلة بين لحظة وأخرى، فقد انعكس ذلك التّفاوت في الأخير على أسلوب القرآن نفسه والذي يظل في كلّ أحواله أسلوباً بشرياً وتراثياً، بل وقدامياً أيضاً إنّ القرآن هو في آخر التّحليل، كلام يعكس ثقافة الرّسول ومخيّلته ولغته وعصره ". (من مقال : سعيد ناشيد - الأوان، أربع فرضيات حول الوحي : أنّ تعتيم وتمييع الفهم لمعنى مفهوم " وحي "، يضع المتلقي للوحي في مصاف أعلى من البشر، لأنّ له قدرة على التّواصل مع الغيب، ووضعه في موضع التّقديس والتنزيه عن الخطأ، ويحاط بقصص تقترب من الأسطوريّة، والتي لا يستطيع البشر محاكاتها، وما على النّاس إلا تقبلها كما هي دون تفكير أو تمحيص، واعتمادها ضمن المسلمات المتوارثة، والتي تصنف ضمن التراث المقدس. ويستتبع هذا سن قوانين ضمن الدستور للدولة، والذي يشمل وضع قوانين توضح إيقاع الجزاء على كل من يقترب من الوحي وأشكاله باعتباره جزء من الميراث المقدس.

وإذا اعتبر البعض أنّ الوحي مصدر للمعرفة، فأيّ نوع من المعرفة هذه، هل هي من المعرفة المختلطة بالأساطير، بالخيال، أم بأضغاث الأحلام، والتي لا تعتمد على دليل ملموس، ومتعارف عليه. أم أن الوحي هو مصدر للمعرفة العلمية اليقينية، والتي يمكن التأكد من صحتها بالتجربة والنّشاط العملي الإنساني ؟

أم أنّ الوحي هو شكل من أشكال الإبداع والخلق والاختراع ؟ مثل تفاحة نيوتن، أو نهر هيراقليطس. ومشاهدات داروين، التي أوحت له بنظريته في النشوء والارتقاء. إذا كان كذلك، فان الكثير من النظريات تم اكتشافها من خلال هذا الفهم، أي من خلال التفكير في المشاهدات الواقعية التي تواجه الإنسان في أُثناء النشاط الإنتاجي الواقعي العملي .

من هنا فالحالة الايمانيّة التي نشأت بتأثير دعوة النبي محمد قد تعاصرت معها حالات رافضة، غير معتقدة بالدعوة، ليس اعتراضا على سمعة أو سلوك النبي الأخلاقي أو انتمائه القبلي، فقد كان أمينا ورصينا وهادئ الطبع، وينتسب إلى قريش ذات الشهرة العالية في شبه الجزيرة العربية، بل كان اعتراضهم وشكّهم ينبع من كيفية التواصل الإيحائي بين النبي والغيب، والذي حسب ما جاء على لسان خديجة منذ البداية بأنه بدأ بالرؤيا، أو ملاك يجلس على كرسي بين السماء والأرض فيسد الأفق، أو يأتيه وهو نائما أو ماشيا، أو على هيئة ملاك جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر. وهذا الوصف للوحي لم يعهده عرب شبه الجزيرة في تاريخهم .

ورغم هذا فقد انتشرت دعوة النبي الحنيفية بقوة، لتوافقها مع ما نادى به الحنفاء من قبل، وتوسعت إلى أن وصلت إلى الشام والعراق. وهذه الدّعوة لم تكن مقطوعة الصّلة بمن سبقها أو زامنها، فقد كانت هناك العديد من حالات الكهانة القريبة الشبه بالنبوّة في شبه جزيرة العرب وأطرافها، مثل خالد بن سنان، وسطيح وشق، ومسلمة بن حبيب من بني حنيفة، وسجاح بنت الحارث بن سويد من بني تميم. وهذا يعكس التصور أن النبوة لست بالشيء الخارق، أو الحدث الذي لا يمكن أن يحدث مثله، بل هي دعوة إلى الاصلاح الاجتماعي والاعتقادي. فإذا كثر الأتباع حول داعيها الأول تكثر حوله القصص الأسطوريّة ويجري نعته بالصّفات الخارقة والكرامات من صغره وحتى بعد موته .

ففي تاريخ كلّ شعب من شعوب الأرض ظهر رجال ونساء ملكوا هذا الوصف، واقتربوا من أن يكونوا بشرا فوق العادة، وأن لهم صلات مع الغيب منحتهم قوّة وتميّزا سواء كان جسديا أو عقليا، أكسبهم أتباعا لا حصر لهم. كما أنّ الكثير من المعتقدات المنتشرة حاليا في العالم، ولها أتباع بالملايين ظهرت نادى بها أشخاص لهم سمعة أخلاقية ويتميزون بالبصيرة العقلية المؤثرة والتي بقيت آثار آراءهم ومبادئهم الى زماننا هذا، أمثال كونفوشيوس وبوذا .

فالإيمان الدّيني المنتشر في العالم اليوم لا يستند على العقلانية السببية العلمية، بل على الموروث. فالتسلسل الوراثي البشري، يتبعه تسلسل نقلي للعقائد والأساطير مما أكسب الموروث الفكري صفة الاعتقاد السائد، والسيادية الاعتقادية للموروث أكسبته صفة القداسة التي تلغي النقد، وتعطل ملكة التفكير العقلاني. ففكرة التّسليم بصحّة الموروث تلغي ملكة التّفكير أو التمرّد عليها .

فالشّخص المولود في المجتمع المسلم أو المسيحي أو اليهودي، أو البوذي، منذ منشأه تسيطر عليه مجموعة من المسلمات الاعتقادية حول وجود الكون ووجود الإنسان ومصيره في الحياة وما بعد الموت . وليس من السّهل الخروج أو الشك في هذا الموروث .

إنّ تنوع الموروث الاعتقادي المقدّس قد أورث تمايزا بينها في الأخلاق والموقف من الآخر، وخلق الكثير من الصّراعات والصّدامات والحروب. حيث نجد أن الشّعوب تسخر من الموروث المقدّس ومعتقدات الشّعوب الأخرى لاختلاطها بالأساطير، في حين أن معتقداتها وموروثها المقدس لديها لا يصمد أمام أيّ تفكير عقلاني.

إنّ الموروث المقدّس لدى أيّ شعب مهما كان تصورهم عنه، بانغراسه في ثقافة المجتمع يصبح له قوة الوحي الذي كان في زمن حياة الأشخاص الذين ارتدوا ثوب الكهانة أو النبوة، وظل هذا التسليم وهذا التماهي معهم إلى زماننا هذا حيث يطغى بقوّة على عقليّة ووعي أفراد المجتمع ويجعلهم ضمن عباءته الضّاغطة .

إنّ الموروث المقدس عند المسلمين، هو الأرضيّة التي يقف عليها المسلم في موقفه ليس من الآخرين، بل من العلم أيضا، ففي الحياة العملية، هو برجماتي، كل شيء بفوائد، وتراه في المتع يغترف منها اغترافا، فهو يتزوج النساء سرّا وعلنا، ولو كان شيخا هرما، ويتعامل مع الحضارة بالدّرجة القصوى، فهو يحاول أن يملك الكثير من الماديات، ولكن في ثقافته وشعاراته، هو ديني، والحديث مع الناس ديني. إنّه متناقض دائما مع نفسه. فهو يقول إنّ الحياة معبر إلى الآخرة، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وأن لديه قناعة بالقدر والمسلمات المقدّسة، وفي نفس الوقت تجده الأكثر تكالبا على النيل من متع الحياة .

إنّ الله لم يمت كما أعلن نيتشه، إنّ الله هو منظومة اعتقادية تتوارثه الأجيال، أو هو ميراث للشعوب الأقرب إلى البربريّة منها إلى روح العصر، هو ميراث مقدّس لشعوب تبحث عن السّعادة خارج هذه الأرض، السّعادة الأخروية، وذلك لفشلهم في تنظيم حياة سعيدة. إنّ هذا الفشل يجعلهم يغرقون في الاعتقاد بالحلول الميتافيزيقية لعذاباتهم .

****

انتهى في : ٢٠١٢/٥/١